كتبه

محمد سعد عبدالدايم

تسلية المصاب بفقد الأولاد

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا
مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ .
وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ))
((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا))
((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا))
: أَمَّا بَعْدُ
فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ وَكُلُّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ ، وإِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى .

مما لا شك فيه أن للأولاد منزلة كبرى في قلوب والديهم ، فالأولاد يستولون على القلوب بشكل عجيب ، وقد زرع الله تعالى لهم محبة كبرى في النفس ، تغلب على أي نوع من أنواع المحبة البشرية ، وهذه رحمة من رحمات الله تعالى الكبرى ، جعلها سبحانه في قلوب العباد .

ومما لا شك فيه أيضًا أن المصاب بموت الأولاد كبير ، وله أثر بالغ في النفس ، حتى أن أحدهم يتمنى لو أن الموت نزل به ، ولا يرى ولده أمامه يفارق الحياة ، أو يراه ميتًا .

فإذا وقع الموت بالولد امتلأ القلب بالحزن والأسى ، وانقبضت الصدور ، وذبلت العيون من البكاء ، وتنكد العيش بالفراق ، وطال على المرء البلاء الكرب ، وعظم الكرب ، واشتدت الآلام

ولعل موت أي أحد من الناس حتى لو كان عزيزًا ، يقل مع مرور الأيام ، ويُنسى مع طول الزمن إلا موت الأولاد ، فإنه لا يزال أثره في القلوب والنفوس ما دامت الحياة ، والحزن دائمًا يتجـــدد ولا يكاد ينسى أبدًا .

ولكن بالرغم من عظم المصيبة والبلية ، وشدتها وقوة أثرها على النفوس ، إلا أن مـــن ينظـــر في شريعة الله الغراء ، وما بشر به الله تعالى الصابرين والمحتسبين .. لا بد وأن ينقلب حزنه فرحًـــا ، وحرقة صدره بردًا وسلامًا .. وتنزل عليه السكينة .. ويطمئن قلبه .. وينشرح صدره لأمـــر الله تعالى وقدره .. فهذه البلية الكبيرة ، يخرج الله منها النعم العظيمة ، والفضائل الكبيرة ، والثواب الجزيل

وهذا ليس مجرد كلام للتسلية والتعزية .. ولكنه حقيقة مؤكدة ..

ونحن في هذه الرسالة نزف البشرى لمن فقد ولده ، ومات في صغره أو في كبره .. ونبشره بموعود الله تعالى .. ونطمئن قلبه برحمات الله تعالى التي جعلها الله له ولولده ، وما أدخر لهم مـــن عظـــيم الأجر والثواب ..

فوالله ما جاء من البشريات ليشرح الصدر ، ويفرح القلب ، ويبهج النفس ، ومن استحضر مـــا وعده الله به وتأمله .. فإنه بإذن الله تعالى لن يجزع ، ولن يدوم حزنه وهمه وغمه .. بل ســـيحمد الله تعالى على ما أنعم عليه به من هذه النعمة الكبيرة والعظيمة التي أخرجها له من هذه المصـــيبة الأليمة ..

وفي هذه الرسالة اللطيفة نزف لكم هذه البشريات الجميلة ، التي تستوجب الحمد والشـــكر لله رب العالمين فهو أرحم الراحمين سبحانه وتعالى .. وهو الغفور الودود ، والبر الكريم ، والرؤوف الرحيم ، الحنان المنان ، له الحمد كله والشكر كله سبحانه وتعالى .

وأول ما نستهل به ، بشرى النبي صلى الله عليه وسلم لنا بأن أولاد المسلمين في الجنـــة ينعمـــون فيها ، فبمجرد موتهم تنتقل أرواحهم ، إلى عليين ، في السماوات العلـــى ، يســـرحون في جنـــة عرضها السماوات والأرض ، يكفلهم نبي الله الخليل إبراهيم عليه السلام ، ويلعبون على أنهـــار الجنة ، لا يصيبهم شقاء ولا نصب ولا تعب ، إنما هو النعيم والراحة والأنس والسعادة التامة

وأي شيء بعد ذلك يتمناه الوالد لولده ؟!

فإن ابنك في نعيم لا مثيل له ، وفي سعادة لا شقاء معها ، وفي صحبة الأنبياء ، وفي دار الهنـــاء ، ترعاه الملائكة الكرام .

لا يصيبه هم من هموم الدنيا ، ولا نكدها ، ولا غمها ، ولا تعبها ونصبها وشقاءها الذي لا ينتهي ولا ينغص عليه أحد عيشه ، ولا يرى فيها أو يمسه شيء يحزنه أو يضره .

فوالله لو أطلعك الله على ما هو فيه من نعمة ، لما تمنيت ولو لحظة أنه عندك في دنياك ، بل لقلت أن ما فيه خير وأبقى ، وسجدت لله تعالى شكرًا .

فأبشر بخير فإنك بين يدي الرحمن الرحيم .. الغفور الودود

الجمعة

١٨ جماد الثانية ١٤٣٥ هـ

الموافق ١٨ أبريل ٢٠١٤ م

محمد سعد عبدالدايم

Bmaham777@yahoo.com

بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بأن أولاد المسلمين في الجنة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((ذَرَارِيُّ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَنَّةِ يَكْفُلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلام))[1]

وعَنْ مكحول أن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((إنَّ ذراريَّ المؤمنين أرواحُهم في عصافيرَ خُضرٍ في شجرٍ في الجَنَّةِ يكفُلُهم أبوهم إبراهيمُ عليه الصلاةُ والسَّلامُ)) وفي لفظ : ((إن ذراري المؤمنين عصافير خضر في الجنة))[2]

وعن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه قال :

أولادُ المسلمينَ في كهفِ جبلٍ تكفُلُهم سارةُ وإبراهيمُ عليه السلامُ حتى إذا كان يومُ القيامةِ دُفِعوا إلى آبائِهم .[3]

وعن أسلم بن سليم قَالَ :

---

[1] رواه أحمد (٧٩٧٤) وقال أحمد شاكر في المسند : إسناده حسن ، ورواه ابن حبان (٧٤٤٦) ، وابن أبي داود في البعث (١٦) ، والحاكم في المستدرك (٣٣٥٦) وصححه ووافقه الذهبي ، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢٦٣/٢) وأبو محمد المخلدي في " الفوائد " (٢٨٩ / ١) وابن عساكر (١١ / ٣٢٨ / ٢) وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٤٢١٩) وقال الأرنؤوط في صحيح ابن حبان (٤٨١/١٦) حديث حسن ، وحسنه الألباني في الصحيحة (٦٠٣)

[2] رواه سعيد بن منصور ٤٩٧) مرسلاً ، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٧٩٥٣) : رواه مسدد مرسلاً ورواته ثقات .

[3] قال البوصيري في إتحاف الخيرة (٧٩٥٤) رواه مسدد موقوفًا

((قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ فِي الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَنَّةِ وَالشَّهِيدُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالْمَوْلُودُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالْوَئِيدُ فِي الْجَنَّةِ))[1]

(وَالْمَوْلُود) : قَالَ الْخَطَّابِيُّ : هُوَ الطِّفْل الصَّغِير وَالسِّقْط وَمَنْ لَمْ يُدْرِك الْحِنْث

(وَالْوَئِيد) : هُوَ الْمَوْءُود أَيْ الْمَدْفُون فِي الأَرْض حَيًّا ، وَكَانُوا يَئِدُونَ الْبَنَات ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَئِد الْبَنِينَ أَيْضًا عِنْد الْمَجَاعَة وَالضِّيق يُصِيبهُمْ ، قَالَهُ الْخَطَّابِيُّ .[2]

وكما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم خبره بأن أولاد المسلمين في الجنة ، فصح أنه رأى ذلك في منامه من حديث أبي أمامة ، ومن حديث سمرة بن جندب رضي الله عنهما ورؤيا الأنبياء وحي صحيح وحق من الله تعالى :

عن أبي أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

((بَيْنا أنا نائمٌ إذ أتاني رجُلانِ فأخَذا بضَبْعَيَّ .. وقص الرؤيا وفيها :

ثُمَّ انطلَق بي فإذا أنا بغِلمانٍ يلعَبونَ بَيْنَ نَهرينِ ، فقُلْتُ : مَن هؤلاءِ ؟ فقيل : هؤلاءِ ذَراريُّ المُؤمِنينَ))[3]

فانظر كيف هم في نعمة وهناء وسعادة ، فهم يمارسون اللعب بين أنهار الجنة ، فكما أن قلوب الأطفال متعلقة باللعب في الدنيا ، فإن الله تعالى ينعم عليهم ، بما يحبون ، ولكن في الجنة .. في النعيم والسعادة .. دون أن يصيبهم فيها شقاء ولا تعب ولا نكد ولا حزن .

فاعلم أيها الوالد الكريم أنهم في سعادة غامرة ، ونعيم مقيم .. في جنات النعيم .

وعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ :

((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى صَلاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ : مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا ؟ قَالَ : فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا ، فَيَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ ، فَسَأَلَنَا يَوْمًا فَقَالَ : هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ

---

[1] رواه أبو داود في الجهاد باب فضل الشهادة (٢١٥٩) ، وأحمد ١٩٦٧٤) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ، وقال العيني في عمدة القاري (٣٠٦/٨) : إسناده حسن .

[2] عون المعبود

[3] رواه ابن حبان (٧٤٩١) ، وابن خزيمة (١٩٨٦) والحاكم مختصرًا (٤٣٠/١) وصححه ووافقه الذهبي ، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٨٠) ، والطبراني (٧٦٦٧) ، والنسائي في الكبرى (١٦٦/٤) وقال الهيثمي في المجمع (٧٦/١) : رجاله رجال الصحيح ، وقال الأرنؤوط في صحيح ابن حبان (٥٣٧/١٦) إسناده صحيح وصححه الألباني في الصحيحة (٣٩٥١) وقال الوادعي في الصحيح المسند (٤٨٣) : صحيح على شرط مسلم .

رُؤْيَا ؟ قُلْنَا : لا ، قَالَ : لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي فَأَخْرَجَانِي إِلَى الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ .. فقص الرؤيا وفيها :

" فَانْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصِبْيَانٌ "

ولما فسر الملاك الرؤيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم :

" وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلام ، وَالصِّبْيَانُ حَوْلَهُ فَأَوْلادُ النَّاسِ " ..))[1]

وفي رواية أخرى عند البخاري :

((فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيْ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ لا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولاً فِي السَّمَاءِ ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ ..

وقالت له الملائكة لما سأل عن ذلك :

.. وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ .

فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَوْلادُ الْمُشْرِكِينَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَوْلادُ الْمُشْرِكِينَ ..))[2]

قال ابن كثير رحمه الله :

فأما ولدان المؤمنين فلا خلاف بين العلماء كما حكاه القاضي أبو يعلى بن الفراء الحنبلي عن الإمام أحمد أنه قال : لا يختلف فيهم أنهم من أهل الجنة . وهذا هو المشهور بين الناس (أي عامة العلماء) وهو الذي نقطع به إن شاء الله عز وجل أ.هـ[3]

وقال الإمام أحمد رحمه الله : من يشك أن أولاد المسلمين في الجنة ؟!

وقال أيضا : إنه لا اختلاف فيهم . أ.هـ[4]

وقال الإمام النووي : أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة ؛ لأنه ليس مكلفاً . أ.هـ[5]

---

[1] رواه البخاري في الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين (١٣٨٦) ، وأحمد (١٩٢٣٦)

[2] رواه البخاري في التعبير باب تعبير الرؤيا بعد الصبح (٧٠٤٧)

[3] تفسير ابن كثير (٣٣/٣)

[4] حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (٨٣/٧)

[5] شرح مسلم (٢٠٧/١٦)

فتبين مما سبق من السنة الصحيحة ، وإجماع علماء السنة ، أن أولاد المسلمين في الجنة ، بل وأولاد المشركين أيضًا كما جاء في رؤيته صلى الله عليه وسلم السابقة في صحيح البخاري وهذه رحمة كبرى من رحمات الله تعالى ، أنه لا يعذب من مات قبل سن البلوغ وقبل أن يجري عليه القلم ، ولا يؤاخذه الله بجريمة أبويه المشركين .

ومن الأحاديث الدالة على أن أولاد المشركين في الجنة بالإضافة إلى ما سبق :

عن أنس قال صلى الله عليه وسلم :

((سألت ربي اللاهين ، فأعطانيهم . قلت : و ما اللاهون ؟ قال : ذراري البشر))[1]

وفي لفظ : ((سألت ربي اللاهين من ذرية البشر ، فأعطانيهم))[2]

وفي لفظ : ((سألت ربي عز وجل ألا يعذب اللاهين من ذرية البشر فأعطانيهم))[3]

وفي رواية : ((استوهبت ربي اللاهين فأعطانيهم قيل : يا رسول الله ما اللاهون ؟ قال : ذرية المشركين))[4]

واللاهون : هم الأطفال كما جاء في الرواية السابقة : ذرية المشركين

وعن أنس وسَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ : عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((أولادُ المشركينَ، خدمُ أهلِ الجنةِ))[5]

قال ابن بطال : وقد اختلف العلماء في أطفال المشركين ، فقال أكثرهم: هم في المشيئة ، وتأولوا في قوله تعالى ((إلا أصحاب اليمين)) ، قال: هم أطفال المؤمنين ، وقيل : هم أصحاب الملائكة

---

[1] رواه المخلص (٩ / ٢٣ – ٢٤) والضياء في المختارة (٢٢٤ / ١) وتمام في فوائده (١٦٣/ ١ مجموع ٢٧) و ابن بشران في الأمالي (٢٨ / ١٢١ / ٢) و ابن لال في حديثه (١١٧ / ١) وابن الأعرابي في معجمه (٧٩/١) ، والبغوي في حديث علي بن الجعد (١٢ / ١٧١ / ١) وأبو يعلى (٣٥٣٧) ابن عساكر (١٨ / ١١٢ / ٢) و قال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٧ / ٢١٩) : " رواه أبو يعلى من طرق و رجال أحدها رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن المتوكل و هو ثقة ، وصححه الألباني في الصحيحة (١٨٨١)

[2] رواه الطبراني في الأوسط (٦١١٩) ، وأبو يعلى (٣٤٧٣)

[3] رواه أبو يعلى (٣٩٩١) والبيهقي في القضاء والقدر (٥٦٦) ، ومسند ابن الجعد (٢٤٥٦) ،

[4] رواه ابن الأعرابي في المعجم (٧٩٨)

[5] رواه الطيالسي وصححه السيوطي في الجامع (٢٨٤٧) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٨٦)

وقال آخرون : حكم الأطفال حكم آبائهم في الدنيا والآخرة ، وهم مؤمنون بإيمانهم ، وكافرون بكفرهم ، واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم في أطفال المشركين يصابون في الحرب : « هم من آبائهم » .

وقال آخرون: أولاد الكفار يمتحنون في الآخرة.

وقال آخرون : أولاد المشركين في الجنة مع أولاد المسلمين، واحتجوا بحديث سمرة ابن جندب، ذكره البخاري في كتاب التعبير: « وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة، قال بعض المسلمين: يا رسول الله، فأولاد المشركين؟ فقال رسول الله: وأولاد المشركين » . وهذه الحجة قاطعة، وهذه الرواية يفسرها ما جاء في حديث هذا الباب أن الشيخ إبراهيم والصبيان حوله أولاد الناس، لأن هذا اللفظ يقتضى عمومه لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم، وهذا القول أصح ما في هذا الباب من طريق الآثار وصحيح الاعتبار.

فإن قيل : فإذا صح هذا القول في أطفال المشركين، فما معنى قوله : الله أعلم بما كانوا عاملين ؟ وهذا يعارض حديث سمرة الذي بيَّن فيه حكمهم، أنهم في الجنة مع أولاد المسلمين.

قيل: هذا يحتمل وجوهًا من التأويل: أحدها: أن يكون قوله: « الله أعلم بما كانوا عاملين » ، قيل: أن يعلمه الله أنهم في الجنة مع أولاد المسلمين، لأنه لم يكن ينطق عن الهوى، وإنما ينطق عن الوحي.

ويحتمل قوله: « الله أعلم بما كانوا عاملين » أي على أي دين كان يميتهم لو عاشوا فبلغوا العمل، فأما إذ عدم منهم العمل، فهم في رحمة الله التي ينالها من لا ذنب له.[1]

قال الألباني : .. بأن أولاد المشركين في النار فهذا منكر بل باطل لمخالفته لظاهر قول الله تعالى : ((وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً)) فإذا كان لا يعذب العاقل لكونه لم تبلغه الدعوة فلأن لا يعذب غير العقل عن الأولاد من باب أولى ولمخالفته أيضا لعديد من الأحاديث الدالة على أن أولاد المشركين في الجنة فضلا من الله ورحمة وهذا هو اختيار أهل التحقيق من العلماء كالنووي والعسقلاني وغيرهما وتجد بعض الأحاديث المشار إليها في فتح الباري.[2]

وسيأتي معنا المزيد من الأحاديث المبشرة بكون أولاد المسلمين في الجنة

---

[1] شرح ابن بطال (٤١٩/٥)

[2] ظلال الجنة (٨٠//١)

فضائل من مات له ولد

لا يقتصر الأمر بان يعزي الإنسان نفسه بأن ولده في الجنة ، وإن كان في هذا الكفاية ، فالإنسان يطمئن قلبه بكون ولده في رحمة الله ، وفي نعمة وسعادة .

بل إن الله تعالى من جميل إحسانه ، وعظيم رحمته ، جعل للوالدين أجرًا عظيمًا ، بل أجورًا متتابعة ومتتالية ، يثيبه الله بها على فقده لولده ، إذا صبر واحتسب .

فلا بد من الصبر على البلية والمصيبة بفقد الولد ، ولا بد من احتساب الأجر عند الله تعالى ورجاء الجزاء على ذلك .

وفي الفقرات التالية نذكر ما أعده الله تعالى من فضل وخير ، لمن أصيب بفقد ولده ، فكما أنعم الله على الولد بدخول الجنة .. أنعم على والديه بفضائل شتى :

فَضْل مَوْت الأَوْلاد :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ ؟ قُلْنَا : الَّذِي لا يُولَدُ لَهُ ، قَالَ : لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا))[1]

(الرَّقُوب) أَصْل الرَّقُوب فِي كَلام الْعَرَب الَّذِي لا يَعِيش لَهُ وَلَد . وَمَعْنَى الْحَدِيث أَنَّكُمْ تَعْتَقِدُونَ أَنَّ الرَّقُوب الْمَحْزُون هُوَ الْمُصَاب بِمَوْتِ أَوْلاده ، وَلَيْسَ هُوَ كَذَلِكَ شَرْعًا ، بَلْ هُوَ مَنْ لَمْ يَمُتْ أَحَد مِنْ أَوْلاده فِي حَيَاته فَيَحْتَسِبهُ يُكْتَب لَهُ ثَوَاب مُصِيبَته بِهِ ، وَثَوَاب صَبْره عَلَيْهِ ، وَيَكُون لَهُ فَرَطًا وَسَلَفًا .

وَفِي الْحَدِيث فَضْل مَوْت الأَوْلاد ، وَالصَّبْر عَلَيْهِمْ .[2]

---

[1] رواه مسلم في البر والصلة باب فضل من يملك نفسه عند الغضب (٤٧٢٢) ، وأحمد (٣٤٤٥)

[2] شرح مسلم (٤٣١/٨)

وعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال :

((كنتُ عندَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فبَلَغَهُ أنَّ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ مَاتَ ابْنٌ لَها فَجَزِعَتْ عَلَيْهِ فقامَ النبيُّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ ومعَهُ أصحابُهُ فلمَّا بَلَغَ بَابَ الْمَرْأَةِ قيلَ لِلْمَرْأَةِ إِنَّ نَبِيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يريدُ أنْ يَدْخُلَ يُعَزِيهَا .

فَدَخَلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقالَ : أما أنَّهُ بلَغَني أَنَّكِ جَزِعْتِ عَلَى ابْنِكِ ؟

قَالَتْ : يَا نَبِيَّ اللهِ مَا لِي لا أَجْزَعُ وَأَنَا رَقُوبٌ لا يَعِيشُ لِي وَلَدٌ ؟!

فَقَالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّما الرَّقوبُ الَّذِي يعيشُ ولدُها ، إنه لا يموتُ لامرأةٍ مسلِمَةٍ أوْ امرئٍ مسلمٍ نَسَمَةٌ أو قال ثلاثةٌ من ولدِهِ يَحْتَسِبُهُمْ إلا وجبَتْ لَهُ الجَنَّةُ .

فقال عمرُ وهو عَنْ يمينِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : بِأَبِي وَأُمِّي وَاثْنَيْنِ ؟ قَالَ نَبِيُّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : واثْنَيْنِ))[1]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((ما تعُدُّون الرقوبَ فيكم ؟ قالوا : الذي لا ولدَ له ، قال : لا بل الذي لا فرَطَ له))[2]

الفرط : السابق والمتقدم ، والمراد أنه لم يمت له ولد فيكون سابقًا بين يديه .

فقدان الأولاد مغفرة للذنوب :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((لا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْمُؤْمِنِ أَوْ الْمُؤْمِنَةِ فِي جَسَدِهِ وَفِي مَالِهِ وَفِي وَلَدِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ))[3]

فهذا قدر الله في أهل الإيمان أن يبتليهم في الدنيا ، ليطهرهم من الذنوب والآثام ، ويكون البلاء سببًا في مغفرة ذنوبهم ، ورفع درجاتهم ، لذلك كان أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون .

ومن أعظم البلاء فقدان الأولاد ، وقد رتب الله عز وجل على ذلك عظيم الفضل والثواب كما سيأتي معنا ، ومن ذلك مغفرة الذنوب ، فالله تعالى يغفر لعبده المؤمن إذا فقد ولده

---

[1] رواه البزار وقال الهيثمي في الزوائد (١١/٣) رجاله رجال الصحيح وحسنه الألباني في الجنائز (٢٠٧) .

[2] رواه ابن أبي شيبة وأبو يعلى وقال الهيثمي في الزوائد (١١/٣) رجاله رجال الصحيح ، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٤٤٩/٢) رجاله ثقات وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٥٦) ، والوادعي في الصحيح المسند (١٣٠٥).

[3] رواه أحمد (٧٥٢١) ، والترمذي في الزهد (٢٢٢٣) ، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (١٥٦٧)

وعن لجلاج العامري رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
((إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ، ابْتَلاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ ، أَوْ فِي مَالِهِ ، أَوْ فِي وَلَدِهِ ، ثُمَّ صَبَّرَهُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يُبْلِغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى))[1]

وعن أبي ذَر قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
((مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ بَيْنَهُمَا ثَلاثَةُ أَوْلادٍ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلا غَفَرَ اللَّهُ لَهُمَا بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ))[2]

فهذا نص صريح في أن الله تعالى يغفر للأبوين ، إذا مات لهم ولد ، وليس الثلاثة في الحديث شرط ، بل ولو أقل كما سيأتي في الأحاديث التالية .

من مات له ولد كان له حجابًا من النار

وهذه فضيلة عظمى وهي أيضًا مترتبة على السابقة ، فعندما يموت الولد ويغفر الله تعالى للوالدين فلا بد وأنه لن يكون هناك مقتضى لدخولهم النار .

وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم أن فقدان الأولاد من أعظم أسباب النجاة من النار ، وأن العبد يصير بينه وبينها حجابًا ، لا يدخلها ولا تمسه بسوء ولا عذاب .

عن عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
((.. وَأَيُّمَا رَجُلٍ مُسْلِمٍ قَدَّمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ صُلْبِهِ ثَلاثَةً لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ أَوْ امْرَأَةٍ فَهُمْ لَهُ سُتْرَةٌ مِنْ النَّارِ ..))[3]

---

[1] رواه أبو داود في الجنائز باب الأمراض المكفرة للذنوب (٢٦٨٦) ، وأحمد (٢١٣٠٦) ، والبيهقي في الكبرى (٣٧٤/٣) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٢٧٣) ، والطبراني في الكبير (١٨٢٤٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٥٠٧) ، وأبو يعلى (٨٨٦) ، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥٣٥٣) ، والدولابي في الكنى والأسماء (١٥١) ، و المنتقى من كتاب الطبقات لأبي عروبة (٣٠) ، وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات (٣٩) ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٤٠٩)

[2] رواه النسائي في الجنائز باب من يتوفى له ثلاثة (١٨٥١) وصححه الألباني في صحيح النسائي . ورواه أحمد (٢٠٣٧٨) ، وقال الزين في المسند (٤٩٧/١٥) : إسناده صحيح ، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٤٤٧/٢) رواه مسدد بسند الصحيح ، ورواه أبو يعلى وابن حبان (٢٩٤٠)

[3] رواه أحمد (١٨٦٢٢) وعبد بن حميد (٣٣٣/١) ، وصححه الألباني في الصحيحة (١٧٥٦)

سترة : أي جعل الله بينه وبين النار حاجزًا يحميه فلا يدخلها ولا يأتيه منها أذى .

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قال :

((قَالَتْ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ :

مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلاثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنْ النَّارِ .

فَقَالَتْ امْرَأَةٌ : وَاثْنَتَيْنِ ؟ .. فَقَالَ : وَاثْنَتَيْنِ))[1]

وفي رواية :

((فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ اثْنَيْنِ ؟ قَالَ : فَأَعَادَتْهَا مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : وَاثْنَيْنِ ، وَاثْنَيْنِ ، وَاثْنَيْنِ))[2]

وعند أحمد : ((فَقَالَتْ امْرَأَةٌ : أَوْ اثْنَانِ ، فَإِنَّهُ مَاتَ لِي اثْنَانِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَوْ اثْنَانِ))[3]

وعنده : ((قَالَتْ امْرَأَةٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا قَدَّمْتُ اثْنَيْنِ ؟ قَالَ : وَاثْنَيْنِ))[4]

وَفِي الْحَدِيث مَا كَانَ عَلَيْهِ نِسَاء الصَّحَابَة مِنْ الْحِرْص عَلَى تَعْلِيم أُمُور الدِّين ، وَفِيهِ جَوَاز الْوَعْد ، وَأَنَّ أَطْفَال الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَنَّة ، وَأَنَّ مَنْ مَاتَ لَهُ وَلَدَانِ حَجَبَاهُ مِنْ النَّار ، وَلا اِخْتِصَاص لِذَلِكَ بِالنِّسَاءِ

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَنْ قَدَّمَ ثَلاثَةً مِنْ وَلَدِهِ حَجَبُوهُ مِنْ النَّارِ))[5]

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلاثَةٌ مِنْ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ كَانَ لَهُ حِجَابًا مِنْ النَّارِ أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ))[6]

---

[1] رواه البخاري في العلم باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم (١٠٢) وفي الجنائز (١٢٥٠) ، ومسلم في البر والصلة (٤٧٦٨)

[2] رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة باب تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أمته (٧٣١٠) .

[3] رواه أحمد (١٠٨٦٩)

[4] صحيح : رواه أحمد (١١٢٦١)

[5] صحيح : رواه أحمد (١٠٦٨٣) وانظر السابق .

[6] رواه البخاري في الجنائز باب ما قيل في أولاد المسلمين (فتح الباري ٢٨٨/٣)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ :

((أَتَتْ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَبِيٍّ لَهَا ، فَقَالَتْ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ لَهُ ، فَلَقَدْ دَفَنْتُ ثَلاثَةً ، قَالَ : دَفَنْتِ ثَلاثَةً ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَ : لَقَدْ احْتَظَرْتِ بِحِظَارٍ شَدِيدٍ مِنْ النَّارِ))[1]

وفي رواية :

((جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِابْنٍ لَهَا فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَشْتَكِي وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِ قَدْ دَفَنْتُ ثَلاثَةً قَالَ لَقَدْ احْتَظَرْتِ بِحِظَارٍ شَدِيدٍ مِنْ النَّارِ))[2]

(يشتكي) أي من المرض

(لَقَدْ اِحْتَظَرْت بِحِظَارٍ شَدِيد مِنْ النَّار) أَيْ اِمْتَنَعْت بِمَانِعٍ وَثِيق ، وَأَصْل الْحَظْر الْمَنْع ، وَأَصْل الْحِظَار بِكَسْرِ الْحَاء وَفَتْحهَا مَا يُجْعَل حَوْل الْبُسْتَان وَغَيْره مِنْ قُضْبَان وَغَيْرهَا كَالْحَائِطِ .

وعن عائشةَ رضي اللهُ عنها قالتْ :

" مَن قدَّم مِن ولدِه ثلاثةً صابرًا مُحتَسِبًا حجَبوه بإذنِ اللهِ عزَّ وجلَّ منَ النارِ "[3]

ومن مات له ولد لا يلج النار :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((لا يَمُوتُ لِمُسْلِمٍ ثَلاثَةٌ مِنْ الْوَلَدِ فَيَلِجَ النَّارَ ، إِلا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ))[4]قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : ((وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا))

(فَيَلِجَ النَّارَ) الولوج : الدخول : يعني أنه لا يدخل النار

وفي رواية عند أحمد :

((مَنْ قَدَّمَ ثَلاثَةً مِنْ صُلْبِهِ لَمْ يَدْخُلْ النَّارَ إِلا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ))[1]

---

[1] رواه مسلم في البر والصلة باب من بموت له ولد فيحتسبه (٤٧٧٠) ، وأحمد (٩٠٦٨) ، وابن أبي شيبة (٢٣٢/٣) ، والبيهقي في الكبرى (٦٧/٤) وفي الأدب (٧٤٩) ، وأبو يعلى (٥٩٥٧) ، والبخاري في الأدب المفرد (١٤٤)

[2] رواه مسلم في البر والصلة باب من بموت له ولد فيحتسبه (٤٧٧١) ، والنسائي في الجنائز (١٨٥٤)

[3] رواه الطبراني في الأوسط وقال ابن حجر في المطالب العالية (٣١٦/١) : موقوف حسن .

[4] رواه البخاري في الجنائز باب فضل من مات له ولد فاحتسب (١٢٥١) ، وابن ماجه في الجنائز (١٥٩٢) ، وأحمد (٦٩٦٧)

ولا تمسه النار :

وردت الأحاديث لتبين أن المسلم الذي يفقد ولده ، أنه لا يدخل النار ولا تمسه ، وأن بينه وبينها حجاب ، وذلك من باب التأكيد ومزيد البيان بسلامته من كل شر من شرور النار وأهوالها

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((لا يَمُوتُ لأَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ثَلاثَةٌ مِنْ الْوَلَدِ ، تَمَسُّهُ النَّارُ ، إِلا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ))[2]

معنى (إِلا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ)

أَيْ مَا يَنْحَلّ بِهِ الْقَسَم وَهُوَ الْيَمِين ،

وقول الجمهور : أن الْمُرَاد بِهِ قَوْله تَعَالَى (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا) قَالَ الْخَطَّابِيُّ : مَعْنَاهُ لا يَدْخُل النَّار لِيُعَاقَب بِهَا وَلَكِنَّهُ يَدْخُلهَا مُجْتَازًا وَلا يَكُون ذَلِكَ الْجَوَاز إِلا قَدْر مَا يُحَلِّل بِهِ الرَّجُل يَمِينه وَيَدُلّ عَلَى ذَلِكَ مَا وَقَعَ عِنْد عَبْد الرَّزَّاق : فِي آخِر هَذَا الْحَدِيث " إِلا تَحِلَّة الْقَسَم " يَعْنِي الْوُرُود . وعند الطَّبَرَانِيّ مِنْ حَدِيث عَبْد الرَّحْمَن بْن بِشْر الأَنْصَارِيّ مَرْفُوعًا : ((مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلاثَة مِنْ الْوَلَد لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْث لَمْ يَرِد النَّار إِلا عَابِر سَبِيل)) يَعْنِي الْجَوَاز عَلَى الصِّرَاط

وَاخْتَلَفَ السَّلَف فِي الْمُرَاد بِالْوُرُودِ فِي الآيَة :

فَقِيلَ : هُوَ الدُّخُول : رَوَى أَحْمَد وَالنَّسَائِيُّ وَالْحَاكِم مِنْ حَدِيث جَابِر مَرْفُوعًا :

((الْوُرُود الدُّخُول لا يَبْقَى بَرّ وَلا فَاجِر إِلا دَخَلَهَا فَتَكُون عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بَرْدًا وَسَلامًا))

وَرَوَى التِّرْمِذِيّ : عَنْ عَبْد اللَّه بْن مَسْعُود قَالَ :

((يَرِدُونَهَا أَوْ يَلِجُونَهَا ثُمَّ يَصْدُرُونَ عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ))

وَقِيلَ الْمُرَاد بِالْوُرُودِ : الْمَمَرّ عَلَيْهَا

رَوَاهُ الطَّبَرِيُّ وَغَيْره عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ، وعَبْد اللَّه بْن مَسْعُود ، وقَتَادَة ، وكَعْب الأَحْبَار وَزَادَ :

" يَسْتَوُونَ كُلّهمْ عَلَى مَتْنهَا ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ أَمْسِكِي أَصْحَابك وَدَعِي أَصْحَابِي ، فَيَخْرُج الْمُؤْمِنُونَ نَدِيَّة أَبْدَانهمْ "

---

[1] رواه أحمد (٩٨٢٠) .

[2] رواه البخاري في الأيمان والنذور (٦٦٥٦) ، ومسلم في البر والصلة (٤٧٦٦) ، والترمذي في الجنائز (٩٨٠) ، والنسائي في الجنائز (١٨٥٢) ، وأحمد (٧٣٩٦) ، ومالك في الجنائز (٤٩٥) ، وابن عبد البر في الاستذكار (٥٩٧/٢) وقال إسناده من أجود أسانيد الآحاد .

وَهَذَانِ الْقَوْلانِ أَصَحّ مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ وَلا تَنَافِي بَيْنهمَا ، لأَنَّ مَنْ عَبَرَ بِالدُّخُولِ تَجُوز بِهِ عَنْ الْمُرُور ، وَوَجْهه أَنَّ الْمَارّ عَلَيْهَا فَوْق الصِّرَاط فِي مَعْنَى مَنْ دَخَلَهَا ، لَكِنْ تَخْتَلِف أَحْوَال الْمَارَّة بِاخْتِلافِ أَعْمَالهمْ

وَيُؤَيِّد صِحَّة هَذَا التَّأْوِيل مَا رَوَاهُ مُسْلِم مِنْ حَدِيث أُمّ مُبَشِّر :

((إِنَّ حَفْصَة قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَالَ : لا يَدْخُل أَحَد شَهِدَ الْحُدَيْبِيَة النَّار : أَلَيْسَ اللَّه يَقُول (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا) فَقَالَ لَهَا : أَلَيْسَ اللَّه تَعَالَى يَقُول (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اِتَّقَوا) الآيَة)) .[1]

من مات له ولد كان له سببًا في دخول الجنة :

وذلك مما يترتب على مغفرة الذنوب والنجاة من النار ، فإنه ولا بد لمن فقد ولده أن يدخل الجنة نعمة من الله وفضلاً

عن عُقْبَة بْنَ عَامِرٍ : عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :

((مَنْ أَثْكَلَ ثَلاثَةً مِنْ صُلْبِهِ فَاحْتَسَبَهُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ))[2]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ :

((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِنِسْوَةٍ مِنْ الأَنْصَارِ :

لا يَمُوتُ لإِحْدَاكُنَّ ثَلاثَةٌ مِنْ الْوَلَدِ فَتَحْتَسِبَهُ إِلا دَخَلَتْ الْجَنَّةَ

فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ : أَوْ اثْنَيْنِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَوْ اثْنَيْنِ))[3]

وعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

---

[1] فتح الباري باختصار (١٤٨/٣) .

[2] رواه أحمد (١٦٦٦٠) ، وابن حبان (٤٦٧٣) ، و ابن عساكر (١٤ / ٣٥٤ / ١) ، وقال المنذري في الترغيب (١٢٠/٣) والهيثمي في المجمع (٨/٣) : رواته ثقات ، وقال الدمياطي في المتجر الرابح (٩٦) إسناده جيد ، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٨٣٠٢) ، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٢٩٦)

[3] رواه مسلم في البر والصلة باب فضل من يموت له ولد (٤٧٦٧) وأحمد (٨٥٦١) والبخاري في الأدب المفرد (١٤٨)

((مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلاثَةٌ مِنْ الْوَلَدِ فَاحْتَسَبَهُمْ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، قَالَ قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاثْنَانِ ؟ قَالَ : وَاثْنَانِ ، قَالَ مَحْمُودٌ : فَقُلْتُ لِجَابِرٍ أَرَاكُمْ لَوْ قُلْتُمْ وَوَاحِدٌ لَقَالَ وَوَاحِدٌ ؟ قَالَ : وَأَنَا وَاللَّهِ أَظُنُّ ذَاكَ))[1]

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :

((ما مِن مؤمنَينِ يموتُ لهما ثلاثةُ أولادٍ ، لم يبلُغوا الحِنثَ ، إلا أدخَلَهما اللهُ الجنةَ بفضلِ رحمتِه إيَّاهما))[2]

وَعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

((مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلاثَةٌ مِنْ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلا أَدْخَلَهُمْ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ))[3]

وعنه :

((مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يُتَوَفَّى لَهُمْ ثَلاثَةٌ مِنْ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ لِلْمُصِيبَةِ))[4]

أي أن الله يتفضل برحمته على الوالدين من أجل المصيبة التي أصابتهم فهي كبيرة وشديدة ، وكذلك الأجر عليها يكون عظيمًا وكبيرًا .

وعَنِ الْحَارِثِ بْنِ أُقَيْشٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا أَرْبَعَةُ أَوْلادٍ إِلا أَدْخَلَهُمَا اللَّهُ الْجَنَّةَ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَثَلاثَةٌ ؟ قَالَ : وَثَلاثَةٌ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاثْنَانِ ؟ قَالَ : وَاثْنَانِ ، وَإِنَّ مِنْ أُمَّتِي لَمَنْ يَعْظُمُ لِلنَّارِ حَتَّى يَكُونَ أَحَدَ زَوَايَاهَا ، وَإِنَّ مِنْ أُمَّتِي لَمَنْ يَدْخُلُ بِشَفَاعَتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرُ مِنْ مُضَرَ))[5]

---

[1] رواه أحمد (١٣٧٦٧) ، وقال في الزوائد (٤٣٨/١) : رجاله ثقات ، وقال الحافظ في الفتح : رجاله موثقون وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص٧٧) .

[2] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٣/٣) ، وأبو يعلى ، وأحمد عن أبي أمامة عن عمر بن عبسة (٣٨٦/٤) ، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٤٤٨/٢) سنده حسن .

[3] رواه أحمد (٢٠٣٩٦) وقال الزين في المسند (٥٠٢/١٥) إسناده صحيح

[4] رواه أحمد (٢٠٤٤٥) وقال الزين في المسند ٥١٨/١٥) : إسناده صحيح

[5] رواه أحمد (٢١٦١٣) ، وعبد بن حميد (المنتخب٤٤٣) ، وأبو يعلى (١٥٨١) ، والحاكم (٧١/١) وصححه ، وقال الهيثمي في الزوائد (٤٣٨) رجاله ثقات وقال المنذري في الترغيب (١٢١/٣) إسناده صحيح ، ومثله عن أبي برزة الأسلمي ورواته ثقات كما قال الهيثمي والمنذري .

وعَنْ أُمِّ سُلَيْمٍ بِنْتِ مِلْحَانَ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

((مَا مِنْ امْرَأَيْنِ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلاثَةُ أَوْلادٍ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلا أَدْخَلَهُمْ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ))[1]

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَا مِنْ النَّاسِ مِنْ مُسْلِمٍ يُتَوَفَّى لَهُ ثَلاثٌ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ)) وفي لفظ : ((مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ))[2]

وعند أحمد :

((مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلاثَةٌ مِنْ وَلَدِهِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلا أَدْخَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَبَوَيْهِ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ))[3]

قَوْله : (مَا مِنْ النَّاس مِنْ مُسْلِم) قَيَّدَهُ بِهِ لِيَخْرُج الْكَافِر ، وَالْحَدِيث ظَاهِر فِي اِخْتِصَاص ذَلِكَ بِالْمُسْلِمِ .

وعَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الأَشْجَعِيِّ قَالَ :

((قُلْتُ : مَاتَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَدَانِ فِي الإِسْلامِ ؟ فَقَالَ : مَنْ مَاتَ لَهُ وَلَدَانِ فِي الإِسْلامِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمَا

قَالَ : فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ لَقِيَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ فَقَالَ : أَنْتَ الَّذِي قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْوَلَدَيْنِ مَا قَالَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، فَقَالَ : لَئِنْ قَالَهُ لِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا غُلِّقَتْ عَلَيْهِ حِمْصُ وَفِلَسْطِينُ))[4]

---

[1] رواه أحمد (٢٥٨٦٤) ، وقال ابن حجر في الفتح (١٤٦/٣) إسناده جيد ، ورواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (١١١) ،

[2] رواه البخاري في الجنائز باب فضل من مات له ولد فاحتسب (١٢٤٨) ، والنسائي في الجنائز (١٨٥٠) ، وابن ماجه (١٥٩٤)

[3] صحيح رواه أحمد (١٢٠٧٧) وانظر السابق .

[4] رواه أحمد (٢٥٩٦٢) ، وقال الهيثمي في الزوائد (١٢/٣) : رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله ثقات

مسألة : هَلْ يَحْصُل ذَلِكَ الأجر لِمَنْ مَاتَ لَهُ أَوْلاد فِي الْكُفْر ثُمَّ أَسْلَمَ ؟

الظاهر من النصوص أن أجر فقدان الأولاد ، لا يحصل إلا لمن فقد أولاده في الإسلام ، ولا يحصل ذلك لمن مات له أولا في الكفر ثم أسلم ، ومن هذه النصوص حَدِيث :

عَمْرو بْن عَبَسَة : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلاثَة أَوْلاد فِي الإِسْلام فَمَاتُوا قَبْل أَنْ يَبْلُغُوا أَدْخَلَهُ اللَّه الْجَنَّة))[1]

وعَنْ رَجَاء الأَسْلَمِيَّة قَالَتْ :

((كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ بِابْنٍ لَهَا فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ لِي فِيهِ بِالْبَرَكَةِ فَإِنَّهُ قَدْ تُوُفِّيَ لِي ثَلاثَةٌ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمُنْذُ أَسْلَمْتِ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : جُنَّةٌ حَصِينَةٌ))[2]

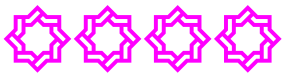

مسألة : هَلْ يَدْخُل فِي الأَوْلاد ، أَوْلاد الأَوْلاد ؟

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((مَنْ احْتَسَبَ ثَلاثَةً مِنْ صُلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، فَقَامَتْ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ : أَوْ اثْنَانِ ؟ قَالَ : أَوْ اثْنَانِ قَالَتْ الْمَرْأَةُ : يَا لَيْتَنِي قُلْتُ وَاحِدًا))[3]

قال الحافظ في الفتح : قوله : (ثَلاثَةً مِنْ صُلْبِهِ) :

---

[1] رواه أحمد وحسنه المنذري في الترغيب ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٠٠٢)

[2] رواه أحمد (١٩٨٥٤) ، وقال الهيثمي في الزوائد (٤٢٦/١) : رجاله رجال الصحيح ، وقال ابن حجر في الإصابة (٣٠١/٤) رجاله ثقات .

[3] رواه البخاري في التاريخ (٤٢١/٢/٣) ، والنسائي في الجنائز باب من احتسب ثلاثة من صلبه (١٨٤٩) ، وابن حبان (٧٢١) ، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٣٠٢)

هَلْ يَدْخُل فِي الأَوْلاد ، أَوْلاد الأَوْلاد ؟ مَحَلّ بَحْث ، وَالَّذِي يَظْهَر أَنَّ أَوْلاد الصُّلْب يَدْخُلُونَ وَلا سِيَّمَا عِنْد فَقْد الْوَسَائِط بَيْنهمْ وَبَيْن الأَب ، وَفِي التَّقَيُّد بِكَوْنِهِمْ مِنْ صُلْبه مَا يَدُلّ عَلَى إِخْرَاج أَوْلاد الْبَنَات .

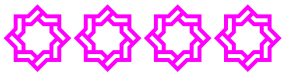

معنى ثوله صلى الله عليه وسلم : (لم يبلغوا الحنث)

قال الحافظ : قَالَ الرَّاغِب : عَبَّرَ بِالْحِنْثِ عَنْ الْبُلُوغ لَمَّا كَانَ الإِنْسَان يُؤَاخَذ بِمَا يَرْتَكِبهُ فِيهِ بِخِلافِ مَا قَبْله ، وَخُصَّ الإِثْم بِالذِّكْرِ لأَنَّهُ الَّذِي يَحْصُل بِالْبُلُوغِ لأَنَّ الصَّبِيّ قَدْ يُثَاب ، وَخَصَّ الصَّغِير بِذَلِكَ لأَنَّ الشَّفَقَة عَلَيْهِ أَعْظَم وَالْحُبّ لَهُ أَشَدّ وَالرَّحْمَة لَهُ أَوْفَر ، وَعَلَى هَذَا فَمَنْ بَلَغَ الْحِنْث لا يَحْصُل لِمَنْ فَقَدَهُ مَا ذُكِرَ مِنْ هَذَا الثَّوَاب وَإِنْ كَانَ فِي فَقْد الْوَلَد أَجْر فِي الْجُمْلَة ، وَبِهَذَا صَرَّحَ كَثِير مِنْ الْعُلَمَاء ، وَفَرَّقُوا بَيْن الْبَالِغ وَغَيْره بِأَنَّهُ يُتَصَوَّر مِنْهُ الْعُقُوق الْمُقْتَضِي لِعَدَمِ الرَّحْمَة بِخِلافِ الصَّغِير فَإِنَّهُ لا يُتَصَوَّر مِنْهُ ذَلِكَ إِذْ لَيْسَ بِمُخَاطَبٍ

وَقَالَ الزَّيْن بْن الْمُنِير : بَلْ يَدْخُل الْكَبِير فِي ذَلِكَ مِنْ طَرِيق الْفَحْوَى لأَنَّهُ إِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الطِّفْل الَّذِي هُوَ كَلّ عَلَى أَبَوَيْهِ فَكَيْفَ لا يَثْبُت فِي الْكَبِير الَّذِي بَلَغَ مَعَهُ السَّعْي وَوَصَلَ لَهُ مِنْهُ النَّفْع وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْخِطَاب بِالْحُقُوقِ ؟ قَالَ : وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ السِّرّ فِي إِلْغَاء الْبُخَارِيّ التَّقْيِيد بِذَلِكَ فِي التَّرْجَمَة . اِنْتَهَى .

وَيُقَوِّي الأَوَّل قَوْله فِي بَقِيَّة الْحَدِيث " بِفَضْلِ رَحْمَته إِيَّاهُمْ " لأَنَّ الرَّحْمَة لِلصِّغَارِ أَكْثَر لِعَدَمِ حُصُول الإِثْم مِنْهُمْ .

وقال الحافظ : فِي حديث أَبِي هُرَيْرَة : التَّقْيِيد بِعَدَمِ بُلُوغ الْحِنْث ، أَيْ : الإِثْم . وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ مَاتُوا قَبْل أَنْ يَبْلُغُوا ؛ لأَنَّ الإِثْم إِنَّمَا يُكْتَب بَعْد الْبُلُوغ ، وَكَأَنَّ السِّرّ فِيهِ أَنَّهُ لا يُنْسَب إِلَيْهِمْ إِذْ ذَاكَ عُقُوق فَيَكُون الْحُزْن عَلَيْهِمْ أَشَدّ .

قَوْله (بِفَضْلِ رَحْمَته إِيَّاهُمْ)

أَيْ بِفَضْلِ رَحْمَة اللَّه لِلأَوْلادِ .

قَالَ اِبْن التِّين : قِيلَ إِنَّ الضَّمِير فِي رَحْمَته لِلأَبِ لِكَوْنِهِ كَانَ يَرْحَمهُمْ فِي الدُّنْيَا فَيُجَازَى بِالرَّحْمَةِ فِي الآخِرَة وَالأَوَّل أَوْلَى ، وَيُؤَيِّدهُ أَنَّ فِي رِوَايَة اِبْن مَاجَهْ مِنْ هَذَا الْوَجْه " بِفَضْلِ رَحْمَة اللَّه إِيَّاهُمْ.[1]

[1] فتح الباري (٣/١٤٤-١٤٥)

تلقي الأولاد لآبائهم عند أبواب الجنة

لم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بالإخبار عن دخول الوالدين إلى الجنة بفضل فقدان أولادهم ، بل بَيّنّ كيفية هذا الدخول ، وأخبر عن تفاصيله .

عن عُتْبَة بْنُ عَبْدٍ السُّلَمِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلاثَةٌ مِنْ الْوَلَدِ ، لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ ، إِلا تَلَقَّوْهُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ دَخَلَ))[1]

(مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ دَخَلَ) : فمن المعلوم أن أبواب الجنة ثمانية ، وقد جعل الله لكل باب منها أهل عمل يدخلون منه ، فباب الجهاد للمجاهدين وباب الريان للصائمين .. وهكذا .. لكل باب أهله الذين يدخلون منه .

ولكن وسع الله تعالى بفضله ورحمته على من مات له ولد فجعله يدخل من أي أبواب الجنة الثمانية شاء يتلقاه منها ولده الذي مات .

ولا يشترط لذلك موت ثلاثة من الولد ، بل يحصل هذا لمن فقد ولدًا واحدًا ، كما في حديث قرة بن إياس التالي .

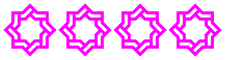

[1] رواه ابن ماجه في الجنائز باب من أصيب بولده (١٥٩٣) ، وقال الحافظ في الفتح (١٢١/٣) إسناده صحيح ، وحسنه المنذري في الترغيب ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١٩٩٣) .

انتظار الولد لأبويه عند أبواب الجنة

عن قُرَّةَ بن إياس قَالَ :

((إِنَّ رَجُلاً كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَتُحِبُّهُ ؟ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَبَّكَ اللَّهُ كَمَا أُحِبُّهُ ، فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : مَا فَعَلَ ابْنُ فُلانٍ ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاتَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَبِيهِ : أَمَا تُحِبُّ أَنْ لا تَأْتِيَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلا وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَهُ خَاصَّةً أَوْ لِكُلِّنَا ؟ قَالَ : بَلْ لِكُلِّكُمْ))[1]

وفي رواية أخرى : عن قُرَّةَ بن إياس قَالَ :

((كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَلَسَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَفِيهِمْ رَجُلٌ لَهُ ابْنٌ صَغِيرٌ يَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ فَيُقْعِدُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَهَلَكَ ، فَامْتَنَعَ الرَّجُلُ أَنْ يَحْضُرَ الْحَلْقَةَ لِذِكْرِ ابْنِهِ فَحَزِنَ عَلَيْهِ ، فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : مَالِي لا أَرَى فُلانًا ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ بُنَيُّهُ الَّذِي رَأَيْتَهُ هَلَكَ ؟ فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ عَنْ بُنَيِّهِ ؟ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ هَلَكَ ، فَعَزَّاهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : يَا فُلانُ أَيُّمَا كَانَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تَمَتَّعَ بِهِ عُمُرَكَ أَوْ لا تَأْتِي غَدًا إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلا وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ ؟ قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ بَلْ يَسْبِقُنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُهَا لِي لَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ ، قَالَ : فَذَاكَ لَكَ))[2]

ففي هذا الحديث أن فضل فقدان الأولاد ينفع لمن مات له ولدًا واحدًا ، وأن أبواب الجنة الثمانية تفتح له يدخل من أيها شاء .

وفي الحديث فضل الصحابة رضي الله عنهم ، وإيثارهم الدار الآخرة على الدنيا ، وتصديقهم وإيمانهم بموعود الله تعالى .

---

[1] رواه أحمد (١٩٤٧٢) ، والنسائي في الجنائز (١٨٤٧) ، وأبو داود (١٠٧٥) ، وابن حبان (٢٩٤٧) وقال البوصيري في إتحاف الخيرة : رواه أحمد بسند الصحيح ، وقال الحافظ في الفتح : سَنَده عَلَى شَرْط الصَّحِيح وَقَدْ صَحَّحَهُ اِبْن حِبَّان وَالْحَاكِم وقال ابن عبد البر في التمهيد (٣٥١/٦) : ثابت صحيح ، وصححه الألباني في صحيح النسائي

[2] رواه النسائي في الجنائز باب التعزية (٢٠٦١) ، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٢٠٨٧)

وفيها قرب النبي صلى الله عليه وسلم من أصحابه وتفقد أحـــوالهم ، وتعزيتـــهم وتســـليتهم في مصابهم ، وإرشادهم لما فيه الخير والأنفع لهم .

بالإضافة إلى ما سبق من انتظار الأولاد لآبائهم عند أبواب الجنة وتلقيهم لهم ، فإنهم يجادلون عن آبائهم ويشفعون لهم عند الله تعالى ، ولا يتركونهم حتى يدخلوا الجنة معهـــم ، وفي الأحاديـــث التالية بيان عظيم منزلة الأطفال عند الله تعالى ، وقبوله سبحانه لشفاعتهم ، وفيه بيـــان أن أولاد المسلمين من أهل الجنة .

عَنْ أَبِي حَسَّانَ قَالَ :

((قُلْتُ لأَبِي هُرَيْرَةَ : إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِيَ ابْنَانِ ، فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّـــهُ عَلَيْـــهِ وَسَلَّمَ بِحَدِيثٍ تُطَيِّبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا ؟ قَالَ : نَعَمْ : "صِغَارُهُمْ دَعَـــامِيصُ الْجَنَّـــةِ ، يَتَلَقَّـــى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ ، أَوْ قَالَ أَبَوَيْهِ ، فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ ، أَوْ قَالَ بِيَدِهِ ، كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا ، فَـــلا يَتَنَاهَى ، أَوْ قَالَ فَلا يَنْتَهِي حَتَّى يُدْخِلَهُ اللَّهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ))[1]

قَوْله : (صِغَارهمْ دَعَامِيص الْجَنَّة) وَاحِدهمْ (دُعْمُوص) بِضَمِّ الدَّال أَيْ صِغَار أَهْلهَا ، وَأَصْـــل الدُّعْمُوص دُوَيْبَّة تَكُون فِي الْمَاء لا تُفَارِقهُ ، أَيْ أَنَّ هَذَا الصَّغِير فِي الْجَنَّة لا يُفَارِقهَا .

قال ابن الأثير : الدعاميص : جمع دعموص ، وهي دويبة تكون في مستنقع الماء . والـــدعموص أيضا : الدَّخَال في الأمور : أي أنهم سيَّاحون في الجنة ، دخَّالون في منازلها ، لا يمنعون من موضع ، كما أن الصبيان في الدنيا لا يمنعون من الدخول على الحُرَم ، ولا يُحجب منهم أحد .[2]

(فَلا يَتَنَاهَى أَوْ قَالَ : يَنْتَهِي حَتَّى يُدْخِلهُ اللَّه وَإِيَّاهُ الْجَنَّة) يَتَنَاهَى وَيَنْتَهِي بِمَعْنَى أَيْ لا يَتْرُكهُ .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

---

[1] رواه مسلم في البر والصلة باب فضل من يموت له ولد ويحتسبه (٤٧٦٩) ، وأحمـــد (٩٩٣٩) و(١٠٢١١) ، والبيهقـــي في الكبرى (٦٧/٤) ، وفي شعب الإيمان (٩٤١٤) ، والبخاري في الأدب المفرد (١٤٥) ، وابن راهويه في مسنده (١٩١/١) ، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص ٧٧)

[2] النهاية (٢٧٩/٢)

((مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ بَيْنَهُمَا ثَلاثَةُ أَوْلادٍ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلا أَدْخَلَهُمَا اللَّهُ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ الْجَنَّةَ ، يُقَالُ لَهُمْ : ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُونَ : حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا ، فَيُقَالُ : ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ))[1]

❀❀❀❀❀

وعن حبيبةَ :

((أنها كانت عند عائشةَ رضي الله عنها فجاء النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حتى دخل عليها فقال: ما من مسلمَين يموتُ لهما ثلاثةٌ من الولدِ لم يبلغوا الحِنثَ إلا جيءَ بهم يومَ القيامةِ حتى يوقَفوا على بابِ الجنَّةِ فيقالُ لهم : ادخلوا الجنَّةَ فيقولون: حتى يدخلَ آباؤنا فيقالُ لهم : ادخلوا أنتم وآباؤكم))[2]

❀❀❀❀❀

وعَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
((يُقَالُ لِلْوِلْدَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُونَ : يَا رَبِّ حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا ، قَالَ فَيَأْبُونَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَا لِي أَرَاهُمْ مُحْبَنْطِئِينَ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُونَ : يَا رَبِّ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا ، فَيَقُولُ : ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ))[3]

(مُحْبَنْطِئِينَ) : المحبنطيء هو الممتنع امتناع طلب لا امتناع رفض .

وفي هذه الأحاديث السابقة : بيان سعة عفو الله ورحمته وعظيم جوده وكرمه على عباده ، وأنه سبحانه رؤوف رحيم ، يقبل شفاعة الأطفال الصغار ، ولا يفجعهم في آباءهم ، بل يشملهم بعفوه وكرمه ورضاه من أجل أطفالهم الصغار .

نسأله عز وجل أن يشملنا بعفوه ورضاه ويتجاوز عنا في أصحاب الجنة إنه جواد كريم .

حصول الفضيلة لمن أصيب بسقط :

---

[1] رواه النسائي في الجنائز باب من يتوفى له ثلاثة (١٨٥٣) ، وقال العراقي في تخريج الإحياء (٣/٣٩١) : إسناده جيد ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٩٩٧)

[2] قال المنذري في الترغيب (٣/١٢٠) إسناده حسن جيد ، وقال الدمياطي في المتجر الرابح (٩٧) إسناده جيد ، وقال الهيثمي في الزوائد (٣/١٠) رجاله ثقات ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٠٠٣)

[3] رواه أحمد (١٦٣٥٧) وقال في الزوائد (١/٤٤٠) : رجاله ثقات

ليس ما مضى من فضيلة يخص الأولاد فقط ، ولكن يمتد هذا الفضل ليشمل الأجنة الذين يموتون في بطون أمهاتهم كذلك ، فمن مات جنينها في بطنها وسقط ، فإن الله تعالى يكتب لها نفس الأجر والثواب ، ويجعل ذلك السقط سببًا في دخولها الجنة .

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ : عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ السِّقْطَ لَيَجُرُّ أُمَّهُ بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ إِذَا احْتَسَبَتْهُ))[1]

السرر : هو الحبل السري الذي يقطع عن المولود بعد الولادة ، وما يتبقى منه في جسد المولـــود فهو السرة .

السقط : لغة هو الولد ذكرا كان أو أنثى يسقط قبل تمامه وهو مستبين الخلق .

وقد نص بعض العلماء على أن السقط يشفع في أبويه يوم القيامة.

قال النووي رحمهُ الله : موتُ الواحدِ من الأولادِ حجابٌ منَ النار ، وكذا السقطُ .[2]

وسئل الشيخ ابن عثيمين : حديث (من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث) هل يدخل فيه السّقط الذي نفخ فيه الروح ؟

فأجاب : نعم ، يدخل فيه ، ولكن ليس كمن وُجد وتعلقت به النفس.

سؤال : ولكن يحصل له الفضل المذكور.

جواب : نعم يرجى هذا . والله أعلم .[3]

وهناك مزيد فضل :

موت الولد الصالح أثقل شيء في ميزان العبد

[1] رواه ابن ماجه في الجنائز باب فيمن أصيب بسقط (١٥٩٨) ، وأحمد (٢١٠٧٦) ، وقال الدمياطي في المتجـــر الـــرابح (٩٩) إسناده حسن لا بأس به ، وقال المنذري في الترغيب رواه أحمد والطبراني وإسناد أحمد حسن وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٠٠٨)

[2] "المجموع" (٢٨٧/٥) . وانظر : " حاشية ابن عابدين " (٢٢٨/٢)

[3] الإسلام سؤال وجواب (٥٢٢٦)

من المعلوم أن الله تعالى ينصب يوم القيامة ميزانًا توزن فيه أعمال العباد ، ويأتي بأعمالهم وتوضع في الميزان ، كما يوزن العبد نفسه ، وصحت بذلك الأحاديث .

وأن الأعمال الصالحة توضع في كفة ، والسيئة توضع في كفة أخرى ، وحسب رجحان أحدهما يجازى العبد بالخير والشر .

ومن الأشياء التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها تثقل ميزان العبد وترجح كفته الصالحة : ذكر الله تعالى ، والولد الصالح إذا مات فاحتسبه الوالد .

وعظمة هذا الأمر أن ذلك يتناول الولد البالغ ، فكما أن الله تعالى رتب أجرًا كبيرًا على فقدان الأولاد الذين لم يبلغوا الحلم ، جعل نصيبًا أيضًا لمن فقدوا الأبناء الكبار ، وذلك من رأفة الله ورحمته بعباده المؤمنين ، لأنه تعالى يعلم ما يكون في قلوب العباد من الحزن على فقد الولد وإن كان كبيرًا .. فالحمد لله الذي وسعت رحمته كل شيء ، وهو أرحم الراحمين .

عَنْ ثوبان قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((بَخٍ ، بَخٍ لَخَمسٍ ما أَثقلَهُنَّ في الميزانِ : لا إله إلا اللهُ ، وسبحانَ اللهِ ، والحمدُ للهِ ، واللهُ أكبرُ ، والولَدُ الصَّالحُ يَموتُ لِلمرءِ المسلمِ فَيحتسِبُه))[1]

بَخٍ : كلمة تقال لاستحسان الأمر وتعظيم الخير

الاحتساب والحسبة : طَلَب وجْه اللّه وثوابه.

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((خَمْسٌ بَخٍ ، بَخٍ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يَمُوتُ لِلرَّجُلِ فَيَحْتَسِبُهُ)) وفي لفظ ((وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يَمُوتُ فيحتسبه والده))[2]

وكلمة الوالد تسري على الأب والأم ، فهما في الأجر سواء .

وعَنْ أَبِي سلمى راعي رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((بَخٍ ، بَخٍ وأشار بيدِه لخمسٍ ما أثقلَهنَّ في الميزانِ : سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكبرُ ، والولدُ الصَّالحُ يُتوَفَّى للمرءِ المسلمِ فيحتسِبُه))[1]

---

[1] رواه الطبراني في مسند الشاميين (٧٨٢) وفي الدعاء (١٥٧٤) ، والبزار (١٢١/١٠) وقال إسناده حسن ، وفوائد تمام (١٤٦٦) ، وقال ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٧٦/٦٦) : له متابعة ، وقال الهيثمي في الزوائد (٩١/١٠) : رجاله رجال الصحيح ، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٧٨/١) : إسناده رجاله ثقات وله شاهد ، وقال الدمياطي في المتجر الرابح (٩٨) : إسناده حسن ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨١٧)

[2] رواه أحمد (٢١١٥٥) ، والطيالسي (١٢٢٢) ، والروياني في مسنده (١٢٣٩) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨١٧)

في هذه الأحاديث رتب الله تعالى شروطًا لحصول الأجر :

ـــ أن يكون الولد صالحًا

ـــ أن يكون الوالد مسلمًا

ـــ أن يحتسب الوالد فقدان ولده عند الله تعالى .

ثواب الصبر على موت الحبيب أيًّا كان :

ولا يزال فضل الله تعالى على عباده ممتدًا ، لا ينقطع ، فهو سبحانه يثيب ، ويجازي من احتسب فقيده وحبيبه من أهل الدنيا بجنته وواسع رحمته ، لنال فضله سبحانه كل العباد ، وتسعهم رحمته ويعمهم رضوانه .. فمن مات له حبيب أيًّا كان هذا الحبيب ، وسواء كان قريبًا له ، أو لا ، فإن الله تعالى وعده بالجنة إذا صبر واحتسب .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلا الْجَنَّةُ))[2]

(مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِن عِنْدِي جَزَاء) أَيْ ثَوَاب

(إِذَا قَبَضْت صَفِيّه) وَهُوَ الْحَبِيب الْمُصَافِي كَالْوَلَدِ وَالأَخ وَكُلّ مَنْ يُحِبّهُ الإِنْسَان ، وَالْمُرَاد بِالْقَبْضِ قَبْض رُوحه وَهُوَ الْمَوْت .

(ثُمَّ اِحْتَسَبَهُ إِلا الْجَنَّة) أي صَبَرَ عَلَى فَقْده رَاجِيًا الأَجْر مِنْ اللَّه عَلَى ذَلِكَ ، وَأَصْل الْحِسْبَة بِالْكَسْرِ الأُجْرَة ، وَالاحْتِسَاب طَلَب الأَجْر مِنْ اللَّه تَعَالَى خَالِصًا . وَاسْتَدَلَّ بِهِ اِبْن بَطَّال عَلَى أَنَّ مَنْ مَاتَ لَهُ وَلَد وَاحِد يَلْتَحِق بِمَنْ مَاتَ لَهُ ثَلاثَة وَكَذَا اِثْنَانِ

وَوَجْه الدَّلالَة مِنْ حَدِيث الْبَاب أَنَّ الصَّفِيّ أَعَمّ مِنْ أَنْ يَكُون وَلَدًا أَمْ غَيْره وَقَدْ أَفْرَدَ وَرَتَّبَ الثَّوَاب بِالْجَنَّةِ لِمَنْ مَاتَ لَهُ فَاحْتَسَبَهُ [3]

---

[1] رواه أحمد (١٥١٠٧) ، والحاكم في المستدرك (١٨٣٩) وصححه ، والطبراني في الكبير (١٨٣١٠) وفي الدعاء (١٥٧٥) ، والبيهقي في الشعب (٩٤١٧) ، وابن حبان (٨٣٤) ، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٨١٧) ، وابن أبي عاصم في السنة (٦٤٥) ، والدولابي في الكنى والأسماء (١٩٤) وفوائد تمام (١٤٦٥) قال الهيثمي في الزوائد (٩١/١٠) : رواه الطبراني من طريقين ورجال أحدهما ثقات ، وصححه المنذري في الترغيب (٣٥٣/٢) ، وقال الشوكاني في تحفة الذاكرين (٤٠٤) : رجال أحمد والطبراني رجال الصحيح ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٥٥٧)

[2] رواه البخاري في الرقاق باب العمل الذي يبتغي به وجه الله (٦٤٢٤) ، وأحمد (٩٠٢٤)

[3] فتح الباري باختصار

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((إِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ إِذَا ذَهَبَ بِصَفِيِّهِ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ وَقَالَ مَا أُمِرَ بِهِ بِثَوَابٍ دُونَ الْجَنَّةِ))[1]

(وقال ما أمر الله به) : أي استرجع وقال "إنا لله وإنا إليه راجعون" كما قال الله تعالى في كتابه الكريم : ((الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ))[2]

(بِثَوَابٍ دُونَ الْجَنَّةِ) أَيْ سِوَاهَا ، فَجَزَاؤُهُ الْجَنَّة : أَيْ دُخُولهَا أَوَّلاً ، وَيَلْزَم مِنْهُ مَغْفِرَةُ الذُّنُوب أَجْمَعَ صَغِيرَةً أَوْ كَبِيرَةً .

بيت الحمد في الجنة لمن حمد واسترجع

تكفل الله عز وجل لمن حمده واسترجع عند حدوث مصيبة الموت لأحد أحبابه ، ببيت في الجنة وسماه "بيت الحمد" جزاء له على أنه حمده سبحانه وتعالى ، فهنا جزاه الله تعالى من جنس عمله .

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلائِكَتِهِ : قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ : قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ ، فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ : مَاذَا قَالَ عَبْدِي ؟ فَيَقُولُونَ : حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ : ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ))[3]

(قَالَ اللَّهُ لِمَلائِكَتِهِ) أَيْ مَلَكِ الْمَوْتِ وَأَعْوَانِهِ

(قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي) أَيْ رُوحَهُ

(قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ) أَيْ يَقُولُ ثَانِيًا إِظْهَارًا لِكَمَالِ الرَّحْمَةِ كَمَا أَنَّ الْوَالِدَ الْعَطُوفَ يَسْأَلُ الْفَصَّادَ هَلْ فَصَدْت وَلَدِي مَعَ أَنَّهُ بِأَمْرِهِ وَرِضَاهُ . وَقِيلَ سَمَّى الْوَلَدَ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ لأَنَّهُ نَتِيجَةُ الأَبِ كَالثَّمَرَةِ لِلشَّجَرَةِ

(وَاسْتَرْجَعَ) أَيْ قَالَ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

---

[1] رواه النسائي في الجنائز باب ثواب من صبر واحتسب (١٨٤٨) ، وصححه الألباني في صحيح النسائي .

[2] البقرة ١٥٦

[3] رواه الترمذي في الجنائز باب فضل المصيبة إذا احتسب (٩٤٢) ، وأحمد (١٨٨٩٣) ، وابن حبان (٥٨١٦) ، والبغوي في شرح السنة وحسنه (٢٩٨/٣) ، والمنذري في الترغيب وحسنه (١٢٣/٣) ، وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار (٢٨٥/٣) ، والسيوطي في الجامع الصغير (٨٥٤) ، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٤٠٨) .

(وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ) أَضَافَ الْبَيْتَ إِلَى الْحَمْدِ الَّذِي قَالَهُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ لأَنَّهُ جَزَاءُ ذَلِكَ الْحَمْدِ ، قَالَهُ الْقَارِي .[1]

ماذا يقول من مات ولده ؟

القدوة في ذلك هو سيد الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، فقد مات جميع أولاد البنات والبنين في حياته ، عدا السيدة فاطمة عليها السلام ، وقد أخبره الله بموتها بعده ، وأنها أول أهله لحاقًا به .

ومع ما كان يجده النبي صلى الله عليه وسلم من ألم فقد الولد ، والحزن عليه ، على ما وضعه الله تعالى من رحمة في قلبه ومحبة لأولاده ، خاصة أنهم كانوا من الآل الكرام ، والسادة الأصفياء

ومع ذلك لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم إلا خيرًا ، مع الرضا والتسليم لأمر ربه عز وجل وحمده والثناء عليه سبحانه .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :

((أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ بَنَاتِهِ وَهِيَ تَجُودُ بِنَفْسِهَا فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ حَتَّى قُبِضَتْ قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُؤْمِنُ بِخَيْرٍ تُنْزَعُ نَفْسُهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ وَهُوَ يَحْمَدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ))[2]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :

((دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا لإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلام ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَذْرِفَانِ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلا نَقُولُ إِلا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ"))[3]

---

[1] تحفة الأحوذي

[2] رواه أحمد (٢٥٧٠) ، والنسائي في الجنائز (١٨٢٠) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٥٢)

[3] رواه البخاري في الجنائز (١٣٠٣) ، وأبو داود في الجنائز (٢٧١٩) ، وأحمد (١٢٥٤٤)

قَوْله : (ظِئْرًا) أَيْ مُرْضِعًا ، وَأُطْلِقَ عَلَيْهِ ذَلِكَ لأَنَّهُ كَانَ زَوْج الْمُرْضِعَة ، وَأَصْل الظِّئْر مِنْ ظَأَرَتْ النَّاقَة إِذَا عَطَفَتْ عَلَى غَيْر وَلَدهَا فَقِيلَ ذَلِكَ لِلَّتِي تُرْضِع غَيْر وَلَدهَا ، وَأُطْلِقَ ذَلِكَ عَلَى زَوْجهَا لأَنَّهُ يُشَارِكهَا فِي تَرْبِيَته غَالِبًا .

قَوْله : (لإِبْرَاهِيم) أَيْ اِبْن رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَوْله : (وَإِبْرَاهِيم يَجُود بِنَفْسِهِ) أَيْ يُخْرِجهَا وَيَدْفَعهَا كَمَا يَدْفَع الإِنْسَان مَاله ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ يُقَارِب بِهَا الْمَوْت

قَوْله : (تَذْرِفَانِ) أَيْ يَجْرِي دَمْعهمَا .

قَوْله : (وَأَنْتَ يَا رَسُول اللَّه) ؟ قَالَ الطِّيبِيُّ . فِيهِ مَعْنَى التَّعَجُّب ، وَالْوَاو تَسْتَدْعِي مَعْطُوفًا عَلَيْهِ أَيْ النَّاس لا يَصْبِرُونَ عَلَى الْمُصِيبَة وَأَنْتَ تَفْعَل كَفِعْلِهِمْ ، كَأَنَّهُ تَعَجَّبَ لِذَلِكَ مِنْهُ مَعَ عَهْده مِنْهُ أَنَّهُ يَحُثّ عَلَى الصَّبْر وَيَنْهَى عَنْ الْجَزَع

فَأَجَابَهُ بِقَوْلِهِ " إِنَّهَا رَحْمَة " أَيْ الْحَالَة الَّتِي شَاهَدْتهَا مِنِّي هِيَ رِقَّة الْقَلْب عَلَى الْوَلَد لا مَا تَوَهَّمْت مِنْ الْجَزَع اِنْتَهَى .

قَوْله : (ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى) قِيلَ أَرَادَ بِهِ أَنَّهُ أَتْبَعَ الدَّمْعَة الأُولَى بِدَمْعَةٍ أُخْرَى ، وَقِيلَ أَتْبَعَ الْكَلِمَة الأُولَى الْمُجْمَلَة وَهِيَ قَوْله " إِنَّهَا رَحْمَة " بِكَلِمَةٍ أُخْرَى مُفَصَّلَة وَهِيَ قَوْله " إِنَّ الْعَيْن تَدْمَع "

قَالَ اِبْن بَطَّال وَغَيْره :

هَذَا الْحَدِيث يُفَسِّر الْبُكَاء الْمُبَاح وَالْحُزْن الْجَائِز ، وَهُوَ مَا كَانَ بِدَمْعِ الْعَيْن وَرِقَّة الْقَلْب مِنْ غَيْر سُخْط لأَمْرِ اللَّه ، وَهُوَ أَبْيَن شَيْء وَقَعَ فِي هَذَا الْمَعْنَى . وَفِيهِ مَشْرُوعِيَّة تَقْبِيل الْوَلَد وَشَمّه ، وَمَشْرُوعِيَّة الرَّضَاع ، وَعِيَادَة الصَّغِير ، وَالْحُضُور عِنْد الْمُحْتَضَر ، وَرَحْمَة الْعِيَال ، وَجَوَاز الإِخْبَار عَنْ الْحُزْن وَإِنْ كَانَ الْكِتْمَان أَوْلَى ، وَفِيهِ وُقُوع الْخِطَاب لِلْغَيْرِ وَإِرَادَة غَيْره بِذَلِكَ ، وَكُلّ مِنْهُمَا مَأْخُوذ مِنْ مُخَاطَبَة النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَده مَعَ أَنَّهُ فِي تِلْكَ الْحَالَة لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يَفْهَم الْخِطَاب لِوَجْهَيْنِ : أَحَدهمَا صِغَره ، وَالثَّانِي نِزَاعه . وَإِنَّمَا أَرَادَ بِالْخِطَابِ غَيْره مِنْ الْحَاضِرِينَ إِشَارَة إِلَى أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَدْخُل فِي نَهْيه السَّابِق . وَفِيهِ جَوَاز الاعْتِرَاض عَلَى مَنْ خَالَفَ فِعْله ظَاهِر قَوْله لِيَظْهَر الْفَرْق

وَحَكَى اِبْن التِّين قَوْل مَنْ قَالَ : إِنَّ فِيهِ دَلِيلاً عَلَى تَقْبِيل الْمَيِّت وَشَمّه ، وَرَدَّهُ بِأَنَّ الْقِصَّة إِنَّمَا وَقَعَتْ قَبْل الْمَوْت وَهُوَ كَمَا قَالَ .[1]

وعند مسلم : فَقَالَ أَنَسٌ :

[1] فتح الباري باختصار (٢٠٧/٣)

((لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَهُوَ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : " تَدْمَعُ الْعَيْنُ ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ ، وَلا نَقُولُ إِلا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَاللَّهِ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ))[1]

(وَهُوَ يَكِيد بِنَفْسِهِ) أَيْ يَجُود بِهَا ، وَمَعْنَاهُ : وَهُوَ فِي النَّزْع .

قَوْله : (فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى آخِره) فِيهِ جَوَاز الْبُكَاء عَلَى الْمَرِيض وَالْحُزْن ، وَأَنَّ ذَلِكَ لا يُخَالِف الرِّضَا بِالْقَدَرِ ، بَلْ هِيَ رَحْمَة جَعَلَهَا اللَّه فِي قُلُوب عِبَاده ، وَإِنَّمَا الْمَذْمُوم النَّدْب وَالنِّيَاحَة ، وَالْوَيْل وَالثُّبُور ، وَنَحْو ذَلِكَ مِنْ الْقَوْل الْبَاطِل ، وَلِهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَلا نَقُول إِلا مَا يُرْضِي رَبّنَا " .[2]

وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ :

((كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ إِحْدَى بَنَاتِهِ تَدْعُوهُ وَتُخْبِرُهُ أَنَّ صَبِيًّا لَهَا أَوْ ابْنًا لَهَا فِي الْمَوْتِ ، فَقَالَ لِلرَّسُولِ : ارْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ ، فَعَادَ الرَّسُولُ فَقَالَ : إِنَّهَا قَدْ أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا ، قَالَ : فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَانْطَلَقْتُ مَعَهُمْ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الصَّبِيُّ ، وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا فِي شَنَّةٍ ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ : مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ))[3]

قَوْله : (وَنَفْسه تَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا فِي شَنَّة) الشَّنَّة الْقِرْبَة الْبَالِيَة وَمَعْنَاهُ لَهَا صَوْت وَحَشْرَجَة كَصَوْتِ الْمَاء إِذَا أُلْقِيَ فِي الْقِرْبَة الْبَالِيَة ، وهذا هو الشاهد من الحديث الدال على شدة الموت .

أدب نبوي : الدعاء عند الميت :

في الفقرة السابقة تبين لنا فعل النبي صلى الله عليه وسلم وقوله عند نزول الموت وحدوث المصيبة وفي الأحاديث التالية وصيته صلى الله عليه وسلم لأفراد أمته ، وتعليمهم كيف يواجهون ما يترل بهم من مصاب .. فمن ذلك : ألا يقول الإنسان إلا خيرًا ، ولا يدعو إلا بخير ، ويدعو لنفسه وللميت بالعفو والمغفرة ، وأن يسترجع ، ويفوض أمره إلى تعالى .

---

[1] رواه مسلم في الجنائز باب رحمته صلى الله عليه وسلم العيال (٤٢٧٩)

[2] شرح مسلم (٢٢/٨)

[3] رواه البخاري في الجنائز (١٣٨٤) ، ومسلم في الجنائز (١٥٣١) ، والنسائي في الجنائز (١٨٤٥) ، وأبو داود في الجنائز (٢٧١٨) ، وابن ماجه في الجنائز (١٥٧٧) ، وأحمد (٢٠٧٧٧) .

أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((إِذَا حَضَرْتُمْ الْمَرِيضَ أَوْ الْمَيِّتَ فَقُولُوا خَيْرًا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ ، قَالَتْ : فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ قَالَ : قُولِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَى حَسَنَةً ، قَالَتْ فَقُلْتُ فَأَعْقَبَنِي اللَّهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))[1]

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ :

((دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ فَأَغْمَضَهُ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ ، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ ، فَقَالَ : لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلا بِخَيْرٍ فَإِنَّ الْمَلائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ وفي رواية : وَاخْلُفْهُ فِي تَرِكَتِهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ أَوْسِعْ لَهُ فِي قَبْرِهِ))[2]

عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((إِذَا حَضَرْتُمْ مَوْتَاكُمْ فَأَغْمِضُوا الْبَصَرَ فَإِنَّ الْبَصَرَ يَتْبَعُ الرُّوحَ ، وَقُولُوا خَيْرًا فَإِنَّهُ يُؤَمَّنُ عَلَى مَا قَالَ أَهْلُ الْمَيِّتِ))[3]

من مات رضيعًا استكمل رضاعه في الجنة :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ :

((مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ قَالَ عَمْرٌو فَلَمَّا تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثَّدْيِ وَإِنَّ لَهُ لَظِئْرَيْنِ تُكَمِّلَانِ رَضَاعَهُ فِي الْجَنَّةِ))[4]

---

[1] رواه مسلم في الجنائز باب ما يقال عند المريض أو الميت (١٥٢٧) ، والترمذي في الجنائز (٨٩٩) ، والنسائي في الجنائز (١٨٠٢) ، وأبو داود في الجنائز (٢٧٠٨) ، وابن ماجه في الجنائز (١٤٣٧) ، وأحمد (٢٥٣٩٢)

[2] رواه مسلم في الجنائز باب في إغماض الميت (١٥٢٨) ، وأبو داود في الجنائز (٢٧١١) ، وابن ماجه في الجنائز (١٤٤٤) ، وأحمد (٢٥٣٢٢) .

[3] رواه أحمد (١٦٥١٣) ، وابن ماجه في الجنائز (١٤٤٥) ، والحاكم في المستدرك (٣٥٢/١) وصححه ووافقه الذهبي ، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٩٢)

[4] رواه مسلم في الفضائل باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان (٤٢٨٠) ، وأحمد (١١٦٥٩)

الظئر : المرضعة التي ترضع ولد غيرها .

فضيلة الاسترجاع عند المصيبة

قال الله تعالى :

((وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ))[1]

أخبر تعالى أنه يبتلي عباده المؤمنين أي : يختبرهم ويمتحنهم كما قال تعالى ((وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ))[2]

فتارة بالسراء ، وتارة بالضراء من خوف وجوع ، كما قال تعالى ((فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ))[3] فإن الجائع والخائف كل منهما يظهر ذلك عليه؛ ولهذا قال: لباس الجوع والخوف.

وقال هاهنا ((بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ)) أي: بقليل من ذلك

((وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ)) أي: ذهاب بعضها

---

[1] سورة البقرة (١٥٥-١٥٧)

[2] سورة محمد (٣١)

[3] سورة النحل (١١٢)

((وَالأَنْفُسِ)) كموت الأصحاب والأقارب والأحباب
((وَالثَّمَرَاتِ)) أي: لا تُغِلّ الحدائق والمزارع كعادتها. كما قال بعض السلف: فكانت بعض النخيل لا تثمر غير واحدة .
وكل هذا وأمثاله مما يختبر الله به عباده، فمن صبر أثابه الله ، ومن قنط أحل الله به عقابه. ولهذا قال : ((وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ))
ثم بيَنَّ تعالى مَنِ الصابرون الذين شكرهم ، قال ((الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)) أي: تسلَّوا بقولهم هذا عما أصابهم ، وعلموا أنَّهم ملك لله يتصرف في عبيده

بما يشاء، وعلموا أنه لا يضيع لديه مثْقال ذرَّة يوم القيامة، فأحدث لهم ذلك اعترافهم بأنهم عبيده، وأنهم إليه راجعون في الدار الآخرة.
ولهذا أخبر تعالى عما أعطاهم على ذلك فقال ((أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ)) أي : ثناء من الله عليهم ورحمة.
قال سعيد بن جبير: أي أَمَنَةٌ من العذاب ((وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ))
قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: نعم العدْلان ونعمت العلاوة ((أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ)) فهذان العدلان ، ((وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)) فهذه العلاوة، وهي ما توضع بين العدلين، وهي زيادة في الحمل وكذلك هؤلاء، أعطوا ثوابهم وزيدوا أيضًا. انتهى .[1]

وقال السعدي رحمه الله :
أخبر تعالى أنه لا بد أن يبتلي عباده بالمحن، ليتبين الصادق من الكاذب، والجازع من الصابر، وهذه سنته تعالى في عباده؛ لأن السراء لو استمرت لأهل الإيمان، ولم يحصل معها محنة، لحصل الاختلاط الذي هو فساد، وحكمة الله تقتضي تمييز أهل الخير من أهل الشر. هذه فائدة المحن، لا إزالة ما مع المؤمنين من الإيمان، ولا ردهم عن دينهم، فما كان الله ليضيع إيمان المؤمنين، فأخبر في هذه الآية أنه سيبتلي عباده ((بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ)) من الأعداء ((وَالْجُوعِ)) أي: بشيء يسير منهما؛ لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله، أو الجوع، لهلكوا، والمحن تمحص لا تهلك.
((وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ)) وهذا يشمل جميع النقص المعتري للأموال من جوائح سماوية، وغرق، وضياع، وأخذ الظلمة للأموال من الملوك الظلمة، وقطاع الطريق وغير ذلك.

[1] تفسير ابن كثير (٤٦٧/١)

((وَالأَنْفُسِ)) أي: ذهاب الأحباب من الأولاد، والأقارب، والأصحاب، ومن أنواع الأمراض في بدن العبد، أو بدن من يحبه، ((وَالثَّمَرَاتِ)) أي: الحبوب، وثمار النخيل، والأشجار كلها، والخضر ببرد، أو برد، أو حرق، أو آفة سماوية، من جراد ونحوه.

فهذه الأمور، لا بد أن تقع، لأن العليم الخبير، أخبر بها، فوقعت كما أخبر، فإذا وقعت انقسم الناس قسمين : جازعين وصابرين، فالجازع، حصلت له المصيبتان، فوات المحبوب، وهو وجود هذه المصيبة، وفوات ما هو أعظم منها، وهو الأجر بامتثال أمر الله بالصبر، ففاز بالخسارة والحرمان، ونقص ما معه من الإيمان، وفاته الصبر والرضا والشكران، وحصل له السخط الدال على شدة النقصان.

وأما من وفقه الله للصبر عند وجود هذه المصائب، فحبس نفسه عن التسخط ، قولا وفعلا واحتسب أجرها عند الله، وعلم أن ما يدركه من الأجر بصبره أعظم من المصيبة التي حصلت له، بل المصيبة تكون نعمة في حقه، لأنها صارت طريقا لحصول ما هو خير له وأنفع منها، فقد امتثل أمر الله، وفاز بالثواب، فلهذا قال تعالى: ((وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)) أي: بشرهم بأنهم يوفون أجرهم بغير حساب.

فالصابرين، هم الذين فازوا بالبشارة العظيمة، والمنحة الجسيمة، ثم وصفهم بقوله: ((الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ)) وهي كل ما يؤلم القلب أو البدن أو كليهما مما تقدم ذكره.

((قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ)) أي: مملوكون لله، مدبرون تحت أمره وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا بشيء منها، فقد تصرف أرحم الراحمين، بمماليكه وأموالهم، فلا اعتراض عليه، بل من كمال عبودية العبد، علمه، بأن وقوع البلية من المالك الحكيم، الذي أرحم بعبده من نفسه، فيوجب له ذلك، الرضا عن الله، والشكر له على تدبيره، لما هو خير لعبده، وإن لم يشعر بذلك، ومع أننا مملوكون لله، فإنا إليه راجعون يوم المعاد، فمجاز كل عامل بعمله، فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفورا عنده، وإن جزعنا وسخطنا، لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر، فكون العبد لله، وراجع إليه، من أقوى أسباب الصبر.

((أُولَئِكَ)) الموصوفون بالصبر المذكور

((عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ)) أي: ثناء وتنويه بحالهم

((وَرَحْمَةٌ)) عظيمة، ومن رحمته إياهم، أن وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر

((وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)) الذين عرفوا الحق، وهو في هذا الموضع، علمهم بأنهم لله، وأنهم إليه راجعون، وعملوا به وهو هنا صبرهم لله.

ودلت هذه الآية، على أن من لم يصبر، فله ضد ما لهم، فحصل له الذم من الله، والعقوبة، والضلال والخسار ، فما أعظم الفرق بين الفريقين وما أقل تعب الصابرين، وأعظم عناء الجازعين، فقد اشتملت هاتان الآيتان على توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها، لتخف وتسهل، إذا وقعت، وبيان ما تقابل به، إذا وقعت، وهو الصبر، وبيان ما يعين على الصبر، وما للصابر من الأجر، ويعلم حال غير الصابر، بضد حال الصابر.

وأن هذا الابتلاء والامتحان، سنة الله التي قد خلت، ولن تجد لسنة الله تبديلا وبيان أنواع المصائب.[1]

وقد ورد في ثواب الاسترجاع ، وهو قول ((إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)) عند المصائب أحاديث كثيرة. فمن ذلك :

حديث : أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلائِكَتِهِ : قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ : قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ ، فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ : مَاذَا قَالَ عَبْدِي ؟ فَيَقُولُونَ : حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ : ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ))[2]

وعن أبي سَلَمَةَ : أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَابُ بِمُصِيبَةٍ ، فَيَفْزَعُ إِلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ : "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" اللَّهُمَّ عِنْدَكَ احْتَسَبْتُ مُصِيبَتِي فَأْجُرْنِي فِيهَا وَعَوِّضْنِي مِنْهَا ، إِلا آجَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا ، وَعَاضَهُ خَيْرًا مِنْهَا))[3]

---

[1] تفسير السعدي (٧٥/١)

[2] رواه الترمذي في الجنائز باب فضل المصيبة إذا احتسب (٩٤٢) ، وأحمد (١٨٨٩٣) ، وابن حبان (٥٨١٦) ، والبغوي في شرح السنة وحسنه (٢٩٨/٣) ، والمنذري في الترغيب وحسنه (١٢٣/٣) ، وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار (٢٨٥/٣) ، والسيوطي في الجامع الصغير (٨٥٤) ، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٤٠٨) .

[3] رواه ابن ماجه في الجنائز باب الصبر على المصيبة (١٥٨٧) ، وأحمد (١٥٧٥٠) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه .

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ :

((سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا ، إِلا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا .

قَالَتْ : فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ : أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا ، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَتْ : أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ فَقُلْتُ إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ فَقَالَ أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا وَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ))[1]

قال النووي :

فِيهِ : فَضِيلَة هَذَا الْقَوْل وَفِيهِ دَلِيل لِلْمَذْهَبِ الْمُخْتَار فِي الأُصُول أَنَّ الْمَنْدُوب مَأْمُور بِهِ لأَنَّهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَأْمُور بِهِ مَعَ أَنَّ الآيَة الْكَرِيمَة تَقْتَضِي نَدْبه وَإِجْمَاع الْمُسْلِمِينَ مُنْعَقِد عَلَيْهِ .

قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا) قَالَ الْقَاضِي : أَجِرْنِي بِالْقَصْرِ وَالْمَدّ ، حَكَاهُمَا صَاحِب الأَفْعَال : وَقَالَ الأَصْمَعِيّ وَأَكْثَر أَهْل اللُّغَة : هُوَ مَقْصُور لا يَمُدّ وَمَعْنَى أَجَرَهُ اللَّه أَعْطَاهُ أَجْره ، وَجَزَاء صَبْره وَهَمّه فِي مُصِيبَته .

وَقَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَأَخْلِفْ لِي) هُوَ بِقَطْعِ الْهَمْزَة وَكَسْر اللام .

قَالَ أَهْل اللُّغَة : يُقَال لِمَنْ ذَهَبَ لَهُ مَالٌ أَوْ وَلَد قَرِيب أَوْ شَيْء يُتَوَقَّع حُصُول مِثْله أَخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْك أَيْ رَدَّ عَلَيْك مِثْله .

فَإِنْ ذَهَبَ مَا لا يَتَوَقَّع مِثْله بِأَنْ ذَهَبَ وَالِد أَوْ عَمٌّ أَوْ أَخ لِمَنْ لا جَدَّ لَهُ وَلا وَالِد لَهُ قِيلَ : خَلَّفَ اللَّه عَلَيْك بِغَيْرِ أَلِف أَيْ كَانَ اللَّه خَلِيفَة مِنْهُ عَلَيْك .[2]

ومما يسلي الإنسان ويعزيه في مصابه :

تذكر مصيبة وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

---

[1] رواه مسلم في الجنائز باب ما يقال عند المصيبة (١٥٢٥) ، والترمذي في الجنائز (٨٩٩) ، والنسائي في الجنائز (١٨٠٢) ، وأبو داود في الجنائز (٢٧١٥) ، وابن ماجه في الجنائز (١٤٣٧) ، وأحمد (٢٥٢٨٩) ، ومالك في الجنائز (٤٩٨)

[2] شرح مسلم للنووي (٣٢٨/٣)

فإنها من أعظم المصائب ، وما يفوت على الإنسان من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من الخير والهدى والبركة والسعادة ، لا يماثله شيء ولا يعادله ، مهما فاته أي شيء بعد ذلك من فقده لأي إنسان مهما كان ..

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ :

((فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَابًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ أَوْ كَشَفَ سِتْرًا فَإِذَا النَّاسُ يُصَلُّونَ وَرَاءَ أَبِي بَكْرٍ فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا رَأَى مِنْ حُسْنِ حَالِهِمْ رَجَاءَ أَنْ يَخْلُفَهُ اللَّهُ فِيهِمْ بِالَّذِي رَآهُمْ فَقَالَ :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّمَا أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ أَوْ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَتَعَزَّ بِمُصِيبَتِهِ بِي عَنْ الْمُصِيبَةِ الَّتِي تُصِيبُهُ بِغَيْرِي فَإِنَّ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبَتِي))[1]

فضيلة من لم يظهر حزنه عند فقده لولده :

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :

((مَاتَ ابْنٌ لأَبِي طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ ، فَقَالَتْ لأَهْلِهَا : لا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ ، قَالَ : فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءً فَأَكَلَ وَشَرِبَ ، ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَ تَصَنَّعُ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَوَقَعَ بِهَا فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا قَالَتْ : يَا أَبَا طَلْحَةَ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ ؟ قَالَ : لا ، قَالَتْ : فَاحْتَسِبْ ابْنَكَ .

قَالَ : فَغَضِبَ ، وَقَالَ : تَرَكْتِنِي حَتَّى تَلَطَّخْتُ ثُمَّ أَخْبَرْتِنِي بِابْنِي ؟!!

فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي غَابِرِ لَيْلَتِكُمَا ، قَالَ : فَحَمَلَتْ .

فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ وَهِيَ مَعَهُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ لا يَطْرُقُهَا طُرُوقًا ، فَدَنَوْا مِنْ الْمَدِينَةِ فَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ فَاحْتُبِسَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ يَا رَبِّ إِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رَسُولِكَ إِذَا خَرَجَ وَأَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ وَقَدْ احْتَبَسْتُ بِمَا تَرَى قَالَ تَقُولُ أُمُّ

---

[1] رواه ابن ماجه في الجنائز باب الصبر على المصيبة (١٥٨٨) والطبراني في الأوسط (٤٦٠٣)والصغير (٦١٣) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٣١٣٠) وفي الشعب (٩٧٩٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٧٩) ، ورواه الدارمي عن مكحول وعطاء مرسلاً (٨٤-٨٥) .

سُلَيْمٍ يَا أَبَا طَلْحَةَ مَا أَجِدُ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا قَالَ وَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ حِينَ قَدِمَا فَوَلَدَتْ غُلامًا ، فَقَالَتْ لِي أُمِّي : يَا أَنَسُ لا يُرْضِعُهُ أَحَدٌ حَتَّى تَغْدُوَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ احْتَمَلْتُهُ فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَصَادَفْتُهُ وَمَعَهُ مِيسَمٌ فَلَمَّا رَآنِي قَالَ : لَعَلَّ أُمَّ سُلَيْمٍ وَلَدَتْ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، فَوَضَعَ الْمِيسَمَ وَجِئْتُ بِهِ فَوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِهِ وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَجْوَةٍ مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ فَلاكَهَا فِي فِيهِ حَتَّى ذَابَتْ ثُمَّ قَذَفَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ فَجَعَلَ الصَّبِيُّ يَتَلَمَّظُهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : انْظُرُوا إِلَى حُبِّ الأَنْصَارِ التَّمْرَ ، فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ))[1]

وعن أَنَس بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :

((اشْتَكَى ابْنٌ لأَبِي طَلْحَةَ قَالَ فَمَاتَ وَأَبُو طَلْحَةَ خَارِجٌ فَلَمَّا رَأَتْ امْرَأَتُهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ هَيَّأَتْ شَيْئًا وَنَحَّتْهُ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ فَلَمَّا جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ : كَيْفَ الْغُلامُ ؟ قَالَتْ : قَدْ هَدَأَتْ نَفْسُهُ وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ اسْتَرَاحَ ، وَظَنَّ أَبُو طَلْحَةَ أَنَّهَا صَادِقَةٌ ، فَبَاتَ فَلَمَّا أَصْبَحَ اغْتَسَلَ فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَعْلَمَتْهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ ، فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ أَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا كَانَ مِنْهُمَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُبَارِكَ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ : فَرَأَيْتُ لَهُمَا تِسْعَةَ أَوْلادٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ))[2]

(اِشْتَكَى اِبْن لأَبِي طَلْحَة) أَيْ مَرِضَ ، وَلَيْسَ الْمُرَاد أَنَّهُ صَدَرَتْ مِنْهُ شَكْوَى ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ الأَصْل أَنَّ الْمَرِيض يَحْصُل مِنْهُ ذَلِكَ اُسْتُعْمِلَ فِي كُلّ مَرَض لِكُلِّ مَرِيض .

وَالاِبْن الْمَذْكُور هُوَ أَبُو عُمَيْر الَّذِي كَانَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُمَازِحهُ وَيَقُول لَهُ " يَا أَبَا عُمَيْر ، مَا فَعَلَ النُّغَيْر " .

(هَيَّأَتْ شَيْئًا) : الْمُرَاد أَنَّهَا هَيَّأَتْ أَمْر الصَّبِيّ بِأَنْ غَسَّلَتْهُ وَكَفَّنَتْهُ ، وَفِي رِوَايَة : ((فَهَلَكَ الصَّبِيّ فَقَامَتْ أُمّ سُلَيْمٍ فَغَسَّلَتْهُ وَكَفَّنَتْهُ وَحَنَّطَتْهُ وَسَجَّتْ عَلَيْهِ ثَوْبًا))

قَوْله : (وَنَحَّتْهُ فِي جَانِب الْبَيْت) أَيْ جَعَلَتْهُ فِي جَانِب الْبَيْت

(هَدَأَتْ) أَيْ سَكَنَتْ وَ (نَفْسه) وَالْمَعْنَى أَنَّ النَّفْس كَانَتْ قَلِقَة مُنْزَعِجَة بِعَارِضِ الْمَرَض فَسَكَنَتْ بِالْمَوْتِ ، وَظَنَّ أَبُو طَلْحَة أَنَّ مُرَادهَا أَنَّهَا سَكَنَتْ بِالنَّوْمِ لِوُجُودِ الْعَافِيَة

---

[1] رواه البخاري في الزكاة (١٥٠٢) ، ومسلم في فضائل الصحابة (٤٤٩٦) ، وأبو داود في الجهاد (٢٢٠٠) ، وأبو داود في الأدب (٤٣٠٠) ، وابن ماجه في اللباس (٣٥٥٥) ، وأحمد (١٢٢٦٤)

[2] رواه البخاري في الجنائز باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة (١٣٠١)

(وَأَرْجُو أَنْ يَكُون قَدْ اِسْتَرَاحَ) لَمْ تَجْزِم بِذَلِكَ عَلَى سَبِيل الأَدَب ، وَيَحْتَمِل أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ عَلِمَتْ أَنَّ الطِّفْل لا عَذَاب عَلَيْهِ فَفَوَّضَتْ الأَمْر إِلَى اللَّه تَعَالَى ، مَعَ وُجُود رَجَائِهَا بِأَنَّهُ اِسْتَرَاحَ مِنْ نَكَد الدُّنْيَا .

(وَظَنَّ أَبُو طَلْحَة أَنَّهَا صَادِقَة) أَيْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا فَهِمَهُ مِنْ كَلامهَا ، وَإِلا فَهِيَ صَادِقَة بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا أَرَادَتْ .

قَوْله : (فَبَاتَ) أَيْ مَعَهَا (فَلَمَّا أَصْبَحَ اِغْتَسَلَ) فِيهِ كِنَايَة عَنْ الْجِمَاع ، لأَنَّ الْغُسْل إِنَّمَا يَكُون فِي الْغَالِب مِنْهُ ، وَقَدْ وَقَعَ التَّصْرِيح بِذَلِكَ فِي غَيْر هَذِهِ الرِّوَايَة : ((فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ الْعَشَاء فَتَعَشَّى ، ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا))

(فَقَالَ رَجُل مِنْ الأَنْصَار إِلَخْ) هُوَ عَبَايَة بْن رِفَاعَة

(فَرَأَيْتُ لَهُمَا تِسْعَةَ أَوْلادٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ) فِي " قَوْله " لَهُمَا " لأَنَّ ظَاهِره أَنَّهُ مِنْ وَلَدهمَا بِغَيْرِ وَاسِطَة ، وَإِنَّمَا الْمُرَاد مِنْ أَوْلاد وَلَدهمَا الْمَدْعُوّ لَهُ بِالْبَرَكَةِ وَهُوَ عَبْد اللَّه بْن أَبِي طَلْحَة .

وَلَهُ مِنْ الْوَلَد فِيمَا ذَكَرَ اِبْن سَعْد وَغَيْره مِنْ أَهْل الْعِلْم بِالأَنْسَابِ :

إِسْحَاق وَإِسْمَاعِيل وَعَبْد اللَّه وَيَعْقُوب وَعُمَر وَالْقَاسِم وَعُمَارَة وَإِبْرَاهِيم وَعُمَيْر وَزَيْد وَمُحَمَّد ، وَأَرْبَع مِنْ الْبَنَات .

وَفِي قِصَّة أُمّ سُلَيْمٍ هَذِهِ مِنْ الْفَوَائِد أَيْضًا :

جَوَاز الأَخْذ بِالشِّدَّةِ وَتَرْك الرُّخْصَة مَعَ الْقُدْرَة عَلَيْهَا ، وَالتَّسْلِيَة عَنْ الْمَصَائِب ، وَتَزَيُّن الْمَرْأَة لِزَوْجِهَا ، وَتَعَرُّضهَا لِطَلَبِ الْجِمَاع مِنْهُ ، وَاجْتِهَادهَا فِي عَمَل مَصَالِحه ، وَمَشْرُوعِيَّة الْمَعَارِيض الْمُوهِمَة إِذَا دَعَتْ الضَّرُورَة إِلَيْهَا . وَشَرْط جَوَازهَا أَنْ لا تُبْطِل حَقًّا لِمُسْلِمٍ . وَكَانَ الْحَامِل لأُمِّ سُلَيْمٍ عَلَى ذَلِكَ الْمُبَالَغَة فِي الصَّبْر وَالتَّسْلِيم لأَمْرِ اللَّه تَعَالَى وَرَجَاء إِخْلافه عَلَيْهَا مَا فَاتَ مِنْهَا ، إِذْ لَوْ أَعْلَمَتْ أَبَا طَلْحَة بِالأَمْرِ فِي أَوَّل الْحَال تَنَكَّدَ عَلَيْهِ وَقْته وَلَمْ تَبْلُغ الْغَرَض الَّذِي أَرَادَتْهُ ، فَلَمَّا عَلِمَ اللَّه صِدْق نِيَّتهَا بَلَّغَهَا مُنَاهَا وَأَصْلَحَ لَهَا ذُرِّيَّتهَا . وَفِيهِ إِجَابَة دَعْوَة النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّ مَنْ تَرَكَ شَيْئًا عَوَّضَهُ اللَّه خَيْرًا مِنْهُ ، وَبَيَان حَال أُمّ سُلَيْمٍ مِنْ التَّجَلُّد وَجَوْدَة الرَّأْي وَقُوَّة الْعَزْم ، وقد كَانَتْ تَشْهَد الْقِتَال وَتَقُوم بِخِدْمَةِ الْمُجَاهِدِينَ إِلَى غَيْر ذَلِكَ مِمَّا اِنْفَرَدَتْ بِهِ عَنْ مُعْظَم النِّسْوَة .

أمر أهل الميت بالصبر :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :

((مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ : اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي ، قَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي ، وَلَمْ تَعْرِفْهُ ، فَقِيلَ لَهَا إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ ، فَقَالَتْ : لَمْ أَعْرِفْكَ ، فَقَالَ : إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى))[1]

(فَقَالَ اِتَّقِي اللَّه) قَالَ الْقُرْطُبِيّ : الظَّاهِر أَنَّهُ كَانَ فِي بُكَائِهَا قَدْر زَائِد مِنْ نَوْح أَوْ غَيْره ، وَلِهَذَا أَمَرَهَا بِالتَّقْوَى .

قُلْت : يُؤَيِّدهُ أَنَّ فِي مُرْسَل يَحْيَى بْن أَبِي كَثِير الْمَذْكُور " فَسَمِعَ مِنْهَا مَا يُكْرَه فَوَقَفَ عَلَيْهَا " وَقَالَ الطِّيبِيّ : قَوْله " اِتَّقِي اللَّه " تَوْطِئَة لِقَوْلِهِ " وَاصْبِرِي " كَأَنَّهُ قِيلَ لَهَا خَافِي غَضَب اللَّه إِنْ لَمْ تَصْبِرِي وَلَا تَجْزَعِي لِيَحْصُل لَك الثَّوَاب .

قَوْله : (إِلَيْك عَنِّي) هُوَ مِنْ أَسْمَاء الأَفْعَال ، وَمَعْنَاهَا تَنَحَّ وَابْعُدْ .

(وَلَمْ تَعْرِفهُ) أَيْ خَاطَبْته بِذَلِكَ وَلَمْ تَعْرِف أَنَّهُ رَسُول اللَّه .

(فَقِيلَ لَهَا) وفِي رِوَايَة : (فَمَرَّ بِهَا رَجُل فَقَالَ لَهَا : إِنَّهُ رَسُول اللَّه ، فَقَالَتْ : مَا عَرَفْته) وَلِلطَّبَرَانِيّ فِي الأَوْسَط : أَنَّ الَّذِي سَأَلَهَا هُوَ الْفَضْل بْن الْعَبَّاس .

وَزَادَ مُسْلِم فِي رِوَايَة لَهُ : (فَأَخَذَهَا مِثْل الْمَوْت) أَيْ مِنْ شِدَّة الْكَرْب الَّذِي أَصَابَهَا لَمَّا عَرَفَتْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَجَلاً مِنْهُ وَمَهَابَة .

قَوْله : (فَلَمْ تَجِد عِنْده بَوَّابِينَ) قَالَ الزَّيْن بْن الْمُنِير : فَائِده هَذِهِ الْجُمْلَة مِنْ هَذَا الْخَبَر

ـــ بَيَان عُذْر هَذِهِ الْمَرْأَة فِي كَوْنهَا لَمْ تَعْرِفهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ شَأْنه أَنْ لا يَتَّخِذ بَوَّابًا مَعَ قُدْرَته عَلَى ذَلِكَ تَوَاضُعًا

ـــ وَكَانَ مِنْ شَأْنه أَنَّهُ لا يَسْتَتْبِع النَّاس وَرَاءَهُ إِذَا مَشَى كَمَا جَرَتْ عَادَة الْمُلُوك وَالأَكَابِر

---

[1] رواه البخاري في الجنائز باب زيارة القبور (١٢٨٣) ، ومسلم في الجنائز (١٥٣٤) ، والترمذي في الجنائز (٩٠٩) ، والنسائي في الجنائز (١٨٤٦) ، وأبو داود في الجنائز (٢٧١٧) ، وابن ماجه في الجنائز (١٥٨٥) ، وأحمد (١١٨٦٨) .

فَلِذَلِكَ اِشْتَبَهَ عَلَى الْمَرْأَة فَلَمْ تَعْرِفهُ مَعَ مَا كَانَتْ فِيهِ مِنْ شَاغِل الْوَجْد وَالْبُكَاء .

وَقَالَ الطِّيبِيّ : فَائِدَة هَذِهِ الْجُمْلَة أَنَّهُ لَمَّا قِيلَ لَهَا إِنَّهُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اِسْتَشْعَرَتْ خَوْفًا وَهَيْبَة فِي نَفْسهَا فَتَصَوَّرَتْ أَنَّهُ مِثْل الْمُلُوك لَهُ حَاجِب وَبَوَّاب يَمْنَع النَّاس مِنْ الْوُصُول إِلَيْهِ ، فَوَجَدَتْ الأَمْر بِخِلافِ مَا تَصَوَّرَتْهُ .

قَوْله : (إِنَّمَا الصَّبْر عِنْد الصَّدْمَة الأُولَى)

وَالْمَعْنَى إِذَا وَقَعَ الثَّبَات أَوَّل شَيْء يَهْجُم عَلَى الْقَلْب مِنْ مُقْتَضَيَات الْجَزَع فَذَلِكَ هُوَ الصَّبْر الْكَامِل الَّذِي يَتَرَتَّب عَلَيْهِ الأَجْر ، وَأَصْل الصَّدْم ضَرْب الشَّيْء الصُّلْب بِمِثْلِهِ فَاسْتُعِيرَ لِلْمُصِيبَةِ الْوَارِدَة عَلَى الْقَلْب

قَالَ الْخَطَّابِيُّ : الْمَعْنَى أَنَّ الصَّبْر الَّذِي يُحْمَد عَلَيْهِ صَاحِبه مَا كَانَ عِنْد مُفَاجَأَة الْمُصِيبَة ، بِخِلافِ مَا بَعْد ذَلِكَ فَإِنَّهُ عَلَى الأَيَّام يَسْلُو .

وَحَكَى الْخَطَّابِيُّ عَنْ غَيْره أَنَّ الْمَرْء لا يُؤْجَر عَلَى الْمُصِيبَة لأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ صُنْعه ، وَإِنَّمَا يُؤْجَر عَلَى حُسْن تَثَبُّته وَجَمِيل صَبْره .

وَقَالَ اِبْن بَطَّال : أَرَادَ أَنْ لا يَجْتَمِع عَلَيْهَا مُصِيبَة الْهَلاك وَفَقْد الأَجْر .

وَقَالَ الطِّيبِيّ : صَدَرَ هَذَا الْجَوَاب مِنْهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلهَا لَمْ أَعْرِفك عَلَى أُسْلُوب الْحَكِيم كَأَنَّهُ قَالَ لَهَا : دَعِي الاعْتِذَار فَإِنِّي لا أَغْضَب لِغَيْرِ اللَّه وَانْظُرِي لِنَفْسك .

وَقَالَ الزَّيْن بْن الْمُنِير : . فَائِدَة جَوَاب الْمَرْأَة بِذَلِكَ أَنَّهَا لَمَّا جَاءَتْ طَائِعَة لِمَا أَمَرَهَا بِهِ مِنْ التَّقْوَى وَالصَّبْر مُعْتَذِرَة عَنْ قَوْلهَا الصَّادِر عَنْ الْحُزْن بَيَّنَ لَهَا أَنَّ حَقّ هَذَا الصَّبْر أَنْ يَكُون فِي أَوَّل الْحَال ، فَهُوَ الَّذِي يَتَرَتَّب عَلَيْهِ الثَّوَاب اِنْتَهَى .

وَفِي هَذَا الْحَدِيث مِنْ الْفَوَائِد غَيْر مَا تَقَدَّمَ :

مَا كَانَ فِيهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ التَّوَاضُع وَالرِّفْق بِالْجَاهِلِ ، وَمُسَامَحَة الْمُصَاب وَقَبُول اِعْتِذَاره

وَمُلازَمَة الأَمْر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَنْ الْمُنْكَر .

وَفِيهِ أَنَّ الْقَاضِي لا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَّخِذ مَنْ يَحْجُبهُ عَنْ حَوَائِج النَّاس

وَأَنَّ مَنْ أُمِرَ بِمَعْرُوفٍ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَقْبَل وَلَوْ لَمْ يَعْرِف الآمِرَ .

وَفِيهِ أَنَّ الْجَزَع مِنْ الْمَنْهِيَّات لأَمْرِهِ لَهَا بِالتَّقْوَى مَقْرُونًا بِالصَّبْرِ .

وَفِيهِ التَّرْغِيب فِي اِحْتِمَال الأَذَى عِنْد بَذْل النَّصِيحَة وَنَشْر الْمَوْعِظَة ، وَأَنَّ الْمُوَاجَهَة بِالْخِطَابِ إِذَا لَمْ تُصَادِف الْمَنْوِيّ لا أَثَر لَهَا .

وَاسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى جَوَاز زِيَارَة الْقُبُور سَوَاء كَانَ الزَّائِر رَجُلاً أَوْ اِمْرَأَة ، قَالَ النَّـــوَوِيّ : وَبِـــالْجَوَازِ قَطَعَ الْجُمْهُور .

مسائل وفوائد هامة

نتعرض لبعض المسائل والفوائد الهامة المتعلقة بموت الأولاد ، ومن ذلك

وجوب الصلاة على الطفل :

تجب صلاة الجنازة على الطفل الصغير إذا مات ، لا كما يظن أو يفعل البعض من ترك الصـــلاة عليه لكونه صغيرًا ، وأنه لا يفعل به كما يفعل بالكبار من الناس ، وهذا أمر منتشر حيث رأينـــا كثير ممن يموت له وليد أو طفل صغير فيقوم بلفه في ودفنه دون الصلاة عليه وغير ذلك مما يجـــب فعله للموت من غسل وكفن وصلاة وجنازة .

والواجب أن يفعل في حقه ما يفعل للكبار من هذه الأمور الشرعية التي أوجبها الشرع من غسل وكفن وصلاة .

عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((الطِّفْلُ يُصَلَّى عَلَيْهِ))[1]

وعَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((الرَّاكِبُ خَلْفَ الْجَنَازَةِ وَالْمَاشِي حَيْثُ شَاءَ مِنْهَا وَالطِّفْلُ يُصَلَّى عَلَيْهِ))[2]

---

[1] رواه ابن ماجه في الجنائز (١٤٩٦) ، وصححه ابن القيم في زاد المعاد (٤٩٣/١) ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه

[2] رواه الترمذي في الجنائز باب الصلاة على الأطفال (٩٥٢) وقال حسن صحيح ، ورواه النسائي في الجنائز (١٩١٧) ، وابـــن ماجه في الجنائز (١٤٩٦) ، وأحمد (١٧٤٦٨) ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي .

وعن أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ قَالَتْ :

((أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَبِيٍّ مِنْ صِبْيَانِ الأَنْصَارِ فَصَلَّى عَلَيْهِ))[1]

وعَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((والطِّفلُ يصلَّى عليهِ، ويُدعَى لوالديهِ بالمغفرةِ والرَّحمةِ))[2]

فيتضح من هذه النصوص الشريفة : وجوب الصلاة على الطفل الذي يموت دون سن البلـــوغ ، ولو كان موته عقب ولادته مباشرة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك

قال النووي رحمه لله :

أما الصبي ، فمذهبنا ومذهب جمهور السلف والخلف وجوب الصلاة عليه ونقل ابن المنذر رحمـــه الله الإجماع فيه.

وحكى أصحابنا عن سعيد بن جبير أنه قال : " لا يصلى عليه ما لم يبلغ " وخالف العلماء كافـــة.

وحكى العبدري عن بعض العلماء أنه قال : إن كان قد صَلَّى صُلِّي عليه، وإلا فلا، وهذا أيضـــاً شاذ مردود...؛

لعموم النصوص الواردة بالأمر بالصلاة على المسلمين، وهذا داخل في عموم المســـلمين، وعـــن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الراكب خلف الجنازة ، والماشي حيث شاء منها ، والطفل يصلى عليه) رواه أحمد والنسائي والترمذي، وقـــال حـــديث حسن صحيح " انتهى .[3]

وعن مالك عن يحيى بن سعيد أنه قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول :

((صليت وراء أبي هريرة على صبي لم يعمل خطيئة قط))[4]

قال ابن عبد البر رحمه الله :

وفي هذا الحديث من الفقه : الصلاة على الأطفال ، وعلى هذا جماعة الفقهاء وجمهور أهل العلـــم والاختلاف فيه شذوذ " انتهى .[5]

---

[1] رواه مسلم في القدر (٤٨١٣) ، والنسائي في الجنائز واللفظ له (١٩٢١) ، وأبو داود في السنة (٤٠٩٠) ، وابن ماجـــه في المقدمة (٧٩) ، وأحمد (٢٣٠٠٢)

[2] قال الألباني في أحكام الجنائز (٩٤) : صحيح على شرط البخاري .

[3] "شرح المهذب" (٢١٧/٥)

[4] رواه مالك في الموطأ كتاب الجنائز (٤٨٠)

[5] الاستذكار"(٣٨/٣)

فإن مات الطفل ودفن قبل أن يُصلَّى عليه ، فإنه يصلى عليه في قبره ، فإن تعذر ذلك ، صُلِّي عليه صلاة الغائب.

قال ابن قدامة رحمه الله: " وإن دفن قبل الصلاة ، فعن أحمد أنه ينبش ، ويصلى عليه . وعنه : أنه إن صلي على القبر جاز. واختار القاضي أنه يصلى على القبر ولا ينبش. وهو مذهب أبي حنيفة ، والشافعي .[1]

و كذلك : السقط يصلى عليه :

عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((السِّقطُ يُصلِّى عليه ، ويُدعَى لوالدَيه بالمغفرةِ والرحمةِ))وفي لفظ ((بالعافية والرحمة))[2]

الجنين إذا خرج حياً واستهل ثم مات فإنه يغسل ويصلى عليه بغير خلاف

قال في المغني : أجمع أهل العلم على أن الطفل إذا عرفت حياته واستهل يصلى عليه .

أما إذا لم يستهل : قال الإمام أحمد رحمه الله : إذا أتى له أربعة أشهر غُسّل وصلي عليه ، وهذا قول سعيد بن المسيب ، وابن سيرين ، وإسحاق ، وصلى ابن عمر على ابن لابنته ولد ميتاً .[3]

وقد جاء في كتاب مسائل الإمام أحمد التي رواها ابنه عبد الله :

سمعت أبي سئل عن المولود : متى يصلى عليه ؟ قال : إذا كان السقط لأربعة أشهر صلي عليه ، قيل : يصلى عليه وإن لم يستهل ؟ فقال : نعم .[4]

وعلل صاحب المغني الصلاة عليه مع الشك في حياته :

(بأن الصلاة عليه دعاء له ولوالديه وخير فلا يحتاج إلى الاحتياط واليقين لوجود الحياة بخلاف الميراث)[5]

وهذا ولا شك فقه دقيق لأن في الميراث حقوقاً للآخرين ، وأما الصلاة فهي علاقة بين العبد وربه

وأما من لم يأت له أربعة أشهر :

فإنه لا يغسل ولا يصلى عليه ، ويلف في خرقة ويدفن ، وذلك لأنه لا ينفخ فيه الروح إلا بعد أربعة أشهر ، وقبل ذلك فلا يكون نسمة فلا يصلى عليه كالجمادات والدم .[6]

---

[1] المغني"(٢/٢١٧) والكاساني في "بدائع الصنائع" (١/٣٠٢)

[2] رواه أبو داود في الجنائز باب المشي أمام الجنازة (٢٧٦٦) ، وأحمد (١٧٤٦٨) و (١٧٤٧٥) ، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٤٤٩٢) ، وقال ابن باز في تعليقه على الفتح (٣/٢٤٠) إسناده حسن ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٢٥)

[3] المغني ٢/٣٢٨.

[4] مسائل الإمام أحمد التي رواها ابنه عبد الله ٢/٤٨٢ مسألة رقم ٦٧٣.

[5] المغني ٢/٣٢٨.

[6] الإسلام سؤال وجواب (١٣١٩٨)

وقالَ النوويّ : ويكونُ كفنُه ككفنِ البالغِ ثلاثةَ أثواب .[1]

مسألة : ضمة القبر .. والأولاد :

ضمَّةُ القبرِ هي أوَّلُ ما يلاقيه الميتُ حين يوضعُ في قبرِه ، وقد جاءَ في النصوصِ ما يدلُّ على أنَّها عامةٌ لكل من يوضعُ في القبرِ ، ولا ينجو منها أحدٌ ، واللهُ المستعان.

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا :

((أَنَّ صَبِيًّا دُفِنَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْ أَفْلَتَ أَحَدٌ مِنْ ضَمَّةِ الْقَبْرِ لأَفْلَتَ هَذَا الصَّبِيُّ))[2]

وعن أنس :

((أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على صبي أو صبية فقال : لو كان نجا أحد من ضمة القبر لنجا هذا الصبي))[3]

قال المناوي :

(لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي) قال الحكيم : إنما لم يفلت منها أحد لأن المؤمن أشرق نور الإيمان بصدره لكنه باشر الشهوات وهي من الأرض والأرض مطيعة وخلق الآدمي وأخذ عليه الميثاق في العبودية فيما نقص من وفائها صارت الأرض عليه واجدة فإذا وجدته ببطنها ضمته ضمة فتدركه الرحمة وعلى قدر مجيئها يخلص فإن كان محسنا فإن رحمة الله قريب من المحسنين وقيل هي ضمة اشتياق لا ضمة سخط .[4]

قال السندي :

ضَمَّة الْقَبْر وَضَغْطَته : عَصْرُهُ وَزَحْمَتُهُ ، قِيلَ وَالْمُرَاد اِلْتِقَاء جَانِبَيْهِ عَلَى جَسَد الْمَيِّت ، قَالَ النَّسَفِيّ يُقَال إِنَّ ضَمَّة الْقَبْر إِنَّمَا أَصْلُهَا أَنَّهَا أُمُّهُمْ وَمِنْهَا خُلِقُوا فَغَابُوا عَنْهَا الْغَيْبَةَ الطَّوِيلَةَ فَلَمَّا

---

[1] المجموع" (٥/٢١٠)

[2] رواه الطبراني في الكبير (٣٧٦٥) ، وصححه الهيثمي (٣/٤٧) ، وصححه الألباني في الصحيحة (٢١٦٤) .

[3] رواه الطبراني في الأوسط (٢٨٦٠) ، وعبدالله بن أحمد في السنة (١٣١٠) ، والضياء ، وقال ابن حجر في المطالب العالية (٤٦٥٦) إسناده صحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٠٧)

[4] فيض القدير (٥/٣٨٩)

رُدُّوا إِلَيْهَا ضَمَّتْهُمْ ضَمَّةَ الْوَالِدَةِ غَابَ عَنْهَا وَلَدُهَا ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهَا فَمَنْ كَانَ لِلَّهِ مُطِيعًا ضَمَّتْهُ بِرَأْفَةٍ وَرِفْقٍ وَمَنْ كَانَ عَاصِيًا ضَمَّتْهُ بِعُنْفٍ سَخَطًا مِنْهَا عَلَيْهِ لِرَبِّهَا .[1]

هل يُسأل الأطفال في قبورهم ؟

اختلفَ العلماءُ في الأطفالِ ، هل يسألون في قبورِهم ؟ على قولَين

القولُ الأولُ :

أنَّهم يُسألون ، وهو قولُ بعضِ المالكيةِ وبعض الحنابلة ، واختاره القرطبيُّ [2]

وقالوا : واللهُ سبحانه يُكمِّل لهم عقولَهم ليعرِفوا بذلك منزلَهم ، ويُلهمون الجوابَ عما يُسأَلون عنه

القولُ الثاني :

أنَّهم لا يُمتحنون ولا يُسأَلون في قبورِهم . وهو قولُ الشافعيةِ ، وبعضِ المالكية والحنابلة.

قالَ ابنُ مفلح في : وهو قولُ القاضي ، وابنُ عقيل " انتهى .[3]

أما حجَّةُ هذا القول ، فيوضِّحُها ابنُ القيم رحمه الله ، ويبدو أنَّه يميلُ إليها :

قال : قالَ الآخرون : السؤالُ إنَّما يكونُ لِمَن عَقَلَ الرسولَ والمرسِلَ ، فيُسأَل هل آمن بالرسولِ وأطاعَه أم لا ؟ فيُقال له : ما كنت تقولُ في هذا الرجلِ الذي بُعِثَ فيكم ؟

فأمَّا الطفلُ الذي لا تمييزَ له بوجهٍ ما ، فكيف يقالُ له : ما كنتَ تقولُ في هذا الرجلِ الذي بُعِثَ فيكم ؟ ولو رُدَّ إليه عقلُه في القبرِ ، فإنَّه لا يُسأَل عمَّا لم يتمكن من معرفتِه والعلمِ به ، ولا فائدةَ في هذا السؤالِ .[4]

قلت : لم يرد في الشريعة كلام عن هذا الأمر لا بإثباته ، أو نفيه ، وهذه الأمور من الغيبيات التي لا يمكن الخوض فيها بغير دليل من الكتاب أو السنة ، والصحيح أن نكتفي بما صح عن نبينا عليه الصلاة والسلام بأن الأطفال من أهل الجنة ، وأنهم يدخلونها بمجرد وفاتهم في كفالة نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ويوم القيامة هم من أهلها ، فهذا يكفي ، والله أعلم .

---

[1] حاشية السندي على سنن النسائي (٢/٢٩١)

[2] انظر : "الفروع" (٢/٢١٦) ، "شرح الزرقاني" (٢/٨٥)

[3] الفروع" (٢/٢١٦)

[4] كتاب الروح (٨٧)

فائدة : ملخص أحوال الأطفال في الآخرة

بالتأمل في النصوص السابقة المخبرة عن حال أطفال المسلمين في البرزخ ، وعند البعث والحساب يوم القيامة ، ثم عند دخول الجنة ، يمكننا تقسيم رحلتهم تلك إلى المراحل الآتية :

١ــ أما حالهم في البرزخ فالثابت أنهم بمجرد موتهم يُنقلون إلى الجنة ، وأن أرواحهم تتنعم فيها في رعاية أبينا إبراهيم عليه السلام

٢ــ فإذا قامت القيامة ، وبُعث الخلق من قبورهم ، بعث الأطفال أيضا على حال طفولتهم وصغرهم الذي ماتوا عليه ، فيشفعون لآبائهم ، ويدخلونهم الجنة برحمة الله لهم حتى السقط ، يبقى على هيئته يوم سقط من رحم أمه يجر بسرره حتى يدخلها الجنة .

ومرت الأحاديث معنا عن هذين الأمرين ، وفيها الدلالة على أن الأطفال يبقون على حال طفولتهم عند البعث والجزاء والحساب وحتى دخول الجنة .

٣ــ فإذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأخذوا منازلهم فيها ، فذهب بعض أهل العلم إلى أنهم يدخلونها جميعا – كبارهم وصغارهم – وهم أبناء ثلاث وثلاثين سنة ، لا يهرمون ولا يشيخون ، ويتنعمون في شبابهم أبد الآبدين ، فيزيد الله في عمر الصغير ، وينقص من عمر الشيخ الكبير ، حتى يصير الجميع في سن واحد ، سن ريعان الشباب : سن الثالثة والثلاثين.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ أَبْنَاءَ ثَلاَثِينَ أَوْ ثَلاَثٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً))[1]

---

[1] رواه الترمذي (٢٥٤٥) وقال حسن غريب . ورواه الإمام أحمد في "المسند" (٣١٥/٢) من حديث أبي هريرة، وحسنه المحققون. والهيثمي في "مجمع الزوائد" (٤٠٢/١٠)، وصححه أبو حاتم في "العلل" (٢٧٢/٣)، والألباني في "السلسلة الصحيحة" (١٢٢٤/٦)

وذهب آخرون من أهل العلم ، من الصحابة والتابعين ، إلى أن من مات من أطفال المسلمين قبل بلوغ سن الحلم ، يكونون خدم أهل الجنة ، يطوفون عليهم بالشراب والطعام والنعيم ، وأولئك هم المذكورون في قوله تعالى (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ . بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ)[1] ، وقوله سبحانه : (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ)[2] ، وقوله عز وجل (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا)[3]

نقل ذلك العلامة ابن القيم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وعن الحسن البصري رحمه الله ولكنه اختار رحمه الله ترجيح القول بأن هؤلاء الولدان الذي يخدمون أهل الجنة هم غلمان مخلوقون من الجنة كالحور العين ، وأنهم غير من مات من أطفال المسلمين من أهل الدنيا ، وقال : " وأما ولدان أهل الدنيا فيكونون يوم القيامة أبناء ثلاث وثلاثين " انتهى[4]

فائدة مهمة : الأحكام التي تترتب على إسقاط الجنين

تختلف باختلاف زمن الإسقاط في أي من أطواره الأربعة على ما يلي :

الحكم الأول :

إذا سقط الحمل في الطورين الأولين : طور النطفة المختلطة من المائين ، وهي في الأربعين الأولى من علوق الماء في الرحم ، وطور العلقة ، وهو طور تحولها إلى دم جامد في الأربعين الثانية إلى تمام ثمانين يوماً ، ففي هذه الحالة لا يترتب على سقوطها نطفة أو علقة شيء من الأحكام بلا خلاف . وتستمر المرأة في صيامها وصلاتها كأنه لم يكن إسقاط ، وعليها أن تتوضأ لوقت كل صلاة إذا كان معها دم كالمستحاضة.

الحكم الثاني :

---

[1] الواقعة/١٧-١٨

[2] الطور/٢٤

[3] الإنسان/١٩

[4] انظر: "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" (ص/٣٠٩-٣١١) ، وانظر الإسلام سؤال وجواب (١١٧٤٣٢)

إذا سقط الحمل في الطور الثالث ، طور المضغة – أي : قطعة من لحم ، وفيه تقدر أعضاؤه وصورته وشكله وهيئته وهو في الأربعين الثالثة من واحد وثمانين يوماً إلى تمام مائة وعشرين يوماً فله حالتان :

١ــ أن تلك المضغة ليس فيها تصوير ظاهر لخلق آدمي ولا خفي ، ولا شهادة القوابل بأنها مبدأ إنسان فحكم سقوط المضغة هذه حكم سقوطها في الطورين الأولين ، لا يترتب عليه شيء من الأحكام.

٢ــ أن تكون المضغة مستكملة لصورة آدمي أو فيها تصوير ظاهر من خلق الإنسان ، يد أو رجل أو نحو ذلك ، أو تصوير خفي أو شهد القوابل بأنها مبدأ إنسان فحكم سقوط المضغة هنا أنه يترتب عليها النفاس وانقضاء العدة.

الحكم الثالث :

إذا سقط الحمل في الطور الرابع ، أي : بعد نفخ الروح ، وهو من أول الشهر الخامس من مرور مائة وواحد وعشرين يوماً على الحمل فما بعد ، فله حالتان ، وهما:

١ــ أن لا يستهل صارخاً (أي لا يصرخ عند ولادته) فله أحكام الحالة الثانية للمضغة المذكورة سابقاً ، ويزيد أنه يغسل ويكفن ويصلى عليه ويسمى ويعق عنه.

٢ــ أن يستهل صارخاً ، فله أحكام المولود كاملة ، ومنها ما في الحالة قبلها آنفاً ، وزيادة ها هنا هي : أنه يملك المال من وصية وميراث فيرث ويورث وغير ذلك .[١]

[١] فتاوى اللجنة الدائمة (٢١/٤٣٤)

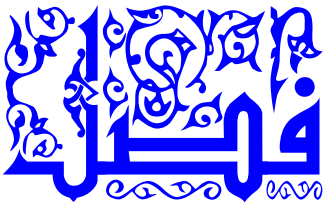

لا تخلو هذه الدنيا من هموم وغموم ، والمسلم يعلم ذلك ، بل كل الناس يعلمون ذلك ، وكل الناس يعانون من الدنيا نعيمها وبؤسها ، رخاءها وشقاءها:

فيومٌ علينا .. ويوم لنا .. ويوما نُساءُ .. ويوما نُسرُّ

والفرق بين المؤمن والكافر في ذلك ، أن المؤمن يرجو من الله في الشدة والرخاء من الأجر ، ما حرم منه الكافر لأجل كفره . قال الله تعالى : (إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً)[1]

والمؤمن يعلم أن ما يراه في هذه الدنيا من الخير ما هو إلا طرف وبارق منه ، وما يراه من الشر في هذه الدار ، أيا كان هذا الشر ، فهو لفحة من الشر ، وطرف منه ؛ الخير الحقيقي في الجنة ، والشر الحقيقي في النار:

كان شداد بن أوس رضي الله عنه يقول :

(إنكم لن تروا من الخير إلا أسبابه ، ولن تروا من الشر إلا أسبابه ؛ الخير كله بحذافيره في الجنة ، والشر بحذافيره في النار ، وإن الدنيا عرض حاضر ، يأكل منها البر والفاجر ، والآخرة وعد صادق ، يحكم فيها ملك قاهر ، ولكل بنون ؛ فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا)[2]

ولأجل هذه الحقيقة ، ينسى هذا الخير كله عند أول صبغة لصاحبه في النار ، إن كان من أهلها ، وينسى هذا الشر كله ــ أيضا ــ عند أول غمسة لصاحبه في الجنة ، إن كان من أهلها .

---

[1] النساء/١٠٤

[2] صفة الصفوة (١/٧٠٩)

فتلك حكمة الله تعالى ، التي يراها المؤمن فيما يقدره الله تعالى عليه : أن يبتلي عباده بالسراء والضراء : (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)[1]

إن كلام الإيمان ، ودعوى الصدق سهلة على كل أحد ؛ لكن بالاختبار ، يتبين الصادق من الكاذب ، والمؤمن من المنافق . قال تعالى : (أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)[2]
ولذلك فإن المؤمن يختلف عن غيره من الناس عندما يُبتلى بالسراء والضراء ، فهو شاكر في السراء ، صابر في الضرَّاء ، ولا خير في غير ذلك :

عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))[3]

عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
((عَجِبْتُ لِلْمُؤْمِنِ إِذَا أَصَابَهُ خَيْرٌ حَمِدَ اللَّهَ وَشَكَرَ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ حَمِدَ اللَّهَ وَصَبَرَ ، فَالْمُؤْمِنُ يُؤْجَرُ فِي كُلِّ أَمْرِهِ حَتَّى يُؤْجَرَ فِي اللُّقْمَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِهِ))[4]

ومن أسمائه تعالى التي سمى بها نفسه : (الحكيم) وفي أفعاله من الحكمة ما يعجز العقل عن الوقوف على أسرارها جميعا ، وفيما تبين لنا منها ما يُثبِّت المؤمن على سبيل التصديق ، وباب الصبر والثبات .

يجري القضاءُ وفيه الخيرُ نافلةً ... لمؤمنٍ واثقٍ بالله لا لاهي
إن جاءه فرجٌ أو نابه ترحٌ ... في الحالتين يقولُ الحمد لله

---

[1] الأنبياء/٣٥

[2] العنكبوت/٢-٣.

[3] رواه مسلم في الزهد والرقائق (٥٣١٨) ، وأحمد (١٨١٧١) والدارمي في الرقاق (٢٦٥٨)

[4] رواه أحمد (١٤١٠) ، والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٧٥) ، والبزار (٢٨/٤) وصححه ، وقال أحمد شاكر في المسند (٥١/٣) : إسناده صحيح ، وصححه الألباني في المشكاة (١٦٧٤)

قال المبارك بن فضالة العدوي البصري : سمعت الحسن يقول :

كان أيوب عليه السلام كلما أصابته مصيبة قال : "اللهم أنت أخذت وأنت أعطيت ، مهما تبقي نفسي ، أحمدك على حسن بلائك"[1]

قال ابن القيم :

الصّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ فَإِنّهُ مَاهِيّةٌ مُرَكّبَةٌ مِنْ صَبْرٍ وَشُكْرٍ كَمَا قَالَ بَعْضُ السّلَفِ الْإِيمَانُ نِصْفَانِ نِصْفٌ صَبْرٌ وَنِصْفٌ شُكْرٌ قَالَ تَعَالَى ((إنّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلّ صَبّارٍ شَكُورٍ)) وَالصّبْرُ مِنْ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرّأْسِ مِنْ الْجَسَدِ وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ صَبْرٌ عَلَى فَرَائِضِ اللّهِ فَلَا يُضِيعُهَا وَصَبْرٌ عَنْ مَحَارِمِهِ فَلَا يَرْتَكِبُهَا وَصَبْرٌ عَلَى أَقْضِيَتِهِ وَأَقْدَارِهِ فَلَا يَتَسَخّطُهَا وَمَنْ اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الثّلَاثَ اسْتَكْمَلَ الصّبْرَ وَلَذّةَ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَنَعِيمَهَا وَالْفَوْزَ وَالظّفَرَ فِيهِمَا لَا يَصِلُ إلَيْهِ أَحَدٌ إلّا عَلَى جِسْرِ الصّبْرِ كَمَا لَا يَصِلُ أَحَدٌ إلَى الْجَنّةِ إلّا عَلَى الصّرَاطِ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ خَيْرُ عَيْشٍ أَدْرَكْنَاهُ بِالصّبْرِ وَإِذَا تَأَمّلْتَ مَرَاتِبَ الْكَمَالِ الْمُكْتَسَبِ فِي الْعَالَمِ رَأَيْتَهَا كُلّهَا مَنُوطَةً بِالصّبْرِ وَإِذَا تَأَمّلْتَ النّقْصَانَ الّذِي يُذَمّ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ وَيَدْخُلُ تَحْتَ قُدْرَتِهِ رَأَيْتَهُ كُلّهُ مِنْ عَدَمِ الصّبْرِ فَالشّجَاعَةُ وَالْعِفّةُ وَالْجُودُ وَالْإِيثَارُ كُلّهُ صَبْرُ سَاعَةٍ .

فَالصّبْرُ طَلْسَمٌ عَلَى كَنْزِ الْعُلَى
مَنْ حَلّ ذَا الطّلْسَمَ فَازَ بِكَنْزِهِ .[2]

وجوب الإيمان بالقضاء والقدر :

من لوازم الإيمان بالقضاء والقدر أن يعلم العبد أن ما يصيبه من خير أو شر فإنه من قدر الله تعالى وأمره ، وأن الواجب تجاه هذا الأمر الرضا بأمر الله تعالى ، والصبر عليه ، واللجوء إلى الله تعالى ، وحمده وشكره في كل الأحوال ، وبذلك يطمئن العبد لقدر الله وأمره ويعلم أن ربه تعالى إنما يريد به الخير وأن ما يفعله به إنما لحكم عظيمة وجليلة ، وأن الله تعالى يرتب الأجر العظيم على الإيمان والرضا والصبر .

عَنْ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ :

((وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ خَشِيتُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيَّ دِينِي وَأَمْرِي فَأَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ : أَبَا الْمُنْذِرِ إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ فَخَشِيتُ عَلَى دِينِي وَأَمْرِي فَحَدِّثْنِي مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ ؟

---

[1] برد الأكباد ص ١٣

[2] زاد المعاد (٤/٢٠١)

فَقَالَ : لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قُبِلَ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَأَنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ ، وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ أَخِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَتَسْأَلَهُ .

فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ فَسَأَلْتُهُ فَذَكَرَ مِثْلَ مَا قَالَ أُبَيٌّ ، وَقَالَ لِي : وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ حُذَيْفَةَ ، فَأَتَيْتُ حُذَيْفَةَ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَا ، وَقَالَ : ائْتِ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَاسْأَلْهُ ، فَأَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَأَنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ))[1]

قال تعالى : ((مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))[2]

قَالَ عَلْقَمَةُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود : (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) هُوَ الَّذِي إِذَا أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ رَضِيَ وَعَرَفَ أَنَّهَا مِنْ اللَّهِ .[3]

قال ابن كثير : أي: ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره، فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله، هدى الله قلبه، وعَوَّضه عما فاته من الدنيا هُدى في قلبه، ويقينا صادقًا، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه، أو خيرًا منه.

عن ابن عباس : (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) يعني: يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وقال الأعمش، عن أبي ظِبْيان قال: كنا عند علقمة فقرئ عنده هذه الآية: (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) فسئل عن ذلك فقال: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم.

رواه ابن جرير وابن أبي حاتم

---

[1] رواه ابن ماجه في المقدمة باب القدر (٧٤) ، وأبو داود في السنة (٤٠٧٧) ، وأحمد (٢٠٦٠٧) ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه .

[2] التغابن (١١)

[3] رواه البخاري في كتاب التفسير باب سورة التغابن

قال السعدي :

يقول تعالى (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ) هذا عام لجميع المصائب، في النفس، والمال، والولد، والأحباب، ونحوهم، فجميع ما أصاب العباد، فبقضاء الله وقدره، قد سبق بذلك علم الله تعالى، وجرى به قلمه، ونفذت به مشيئته، واقتضته حكمته، والشأن كل الشأن، هل يقوم العبد بالوظيفة التي عليه في هذا المقام، أم لا يقوم بها؟ فإن قام بها، فله الثواب الجزيل، والأجر الجميل، في الدنيا والآخرة، فإذا آمن أنها من عند الله، فرضي بذلك، وسلم لأمره، هدى الله قلبه، فاطمأن ولم يتزعج عند المصائب، كما يجري لمن لم يهد الله قلبه، بل يرزقه الثبات عند ورودها والقيام بموجب الصبر، فيحصل له بذلك ثواب عاجل، مع ما يدخر الله له يوم الجزاء من الثواب كما قال تعالى (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)

وعلم من هذا أن من لم يؤمن بالله عند ورود المصائب، بأن لم يلحظ قضاء الله وقدره، بل وقف مع مجرد الأسباب، أنه يخذل، ويكله الله إلى نفسه، وإذا وكل العبد إلى نفسه، فالنفس ليس عندها إلا الجزع والهلع الذي هو عقوبة عاجلة على العبد، قبل عقوبة الآخرة، على ما فرط في واجب الصبر.[1]

فضيلة الصبر :

الصبر خير ما يعطى للإنسان ، فهو يسعه في جميع حالاته ، ومآله دائمًا إلى خير

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ [2]))

فِي الْحَدِيث الْحَضّ عَلَى الِاسْتِغْنَاء عَنْ النَّاس وَالتَّعَفُّف عَنْ سُؤَالهمْ بِالصَّبْرِ وَالتَّوَكُّل عَلَى اللَّه وَانْتِظَار مَا يَرْزُقهُ اللَّه ، وَأَنَّ الصَّبْر أَفْضَل مَا يُعْطَاهُ الْمَرْء لِكَوْنِ الْجَزَاء عَلَيْهِ غَيْر مُقَدَّر وَلَا مَحْدُود

وَقَوْله " وَمَنْ يَتَصَبَّرْ " أَيْ يُعَالِج نَفْسه عَلَى تَرْك السُّؤَال وَيَصْبِر إِلَى أَنْ يَحْصُل لَهُ الرِّزْق

وَقَوْله " يُصَبِّرهُ اللَّه " أَيْ فَإِنَّهُ يُقَوِّيه وَيُمَكِّنهُ مِنْ نَفْسه حَتَّى تَنْقَاد لَهُ وَيُذْعِن لِتَحَمُّلِ الشِّدَّة ، فَعِنْد ذَلِكَ يَكُون اللَّه مَعَهُ فَيُظْفِرهُ بِمَطْلُوبِهِ .

---

[1] تفسير السعدي

[2] رواه البخاري في الزكاة باب الاستعفاف عن المسألة (١٣٧٦) ، ومسلم في الزكاة (١٧٤٥) ، والترمذي في البر والصلة (١٩٤٧) ، والنسائي في الزكاة (٢٥٤١) ، وأبو داود في الزكاة (١٤٠١) ، وأحمد (١٠٥٦٦) ، ومالك (١٥٨٥) ، والدارمي في الرزكاة (١٥٨٩) .

وَقَالَ اِبْن الْجَوْزِيّ : وَإِنَّمَا جُعِلَ الصَّبْر خَيْرَ الْعَطَاء لِأَنَّهُ حَبْسُ النَّفْس عَنْ فِعْل مَا تُحِبّهُ وَإِلْزَامهَا بِفِعْلِ مَا تَكْرَهُ فِي الْعَاجِل مِمَّا لَوْ فَعَلَهُ أَوْ تَرَكَهُ لَتَأَذَّى بِهِ فِي الْآجِل .

قال تعالى : ((إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ))[1]

قال السعدي : وهذا عام في جميع أنواع الصبر، الصبر على أقدار اللّه المؤلمة فلا يتسخطها، والصبر عن معاصيه فلا يرتكبها، والصبر على طاعته حتى يؤديها، فوعد اللّه الصابرين أجرهم بغير حساب، أي: بغير حد ولا عد ولا مقدار، وما ذاك إلا لفضيلة الصبر ومحله عند اللّه، وأنه معين على كل الأمور.ا.هـ

فالصبر عبادة عظيمة ، يحبها الله تعالى ، ويحب أهلها كما قال سبحانه : ((وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ))[2]

وقال سبحانه : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ))[3]

قال السعدي : أمر الله تعالى المؤمنين بالاستعانة على أمورهم الدينية والدنيوية ((بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ)) فالصبر هو: حبس النفس وكفها عما تكره، فهو ثلاثة أقسام: صبرها على طاعة الله حتى تؤديها، وعن معصية الله حتى تتركها، وعلى أقدار الله المؤلمة فلا تتسخطها، فالصبر هو المعونة العظيمة على كل أمر، فلا سبيل لغير الصابر، أن يدرك مطلوبه، خصوصا الطاعات الشاقة المستمرة، فإنها مفتقرة أشد الافتقار، إلى تحمل الصبر، وتجرع المرارة الشاقة، فإذا لازم صاحبها الصبر، فاز بالنجاح، وإن رده المكروه والمشقة عن الصبر والملازمة عليها، لم يدرك شيئا، وحصل على الحرمان، وكذلك المعصية التي تشتد دواعي النفس ونوازعها إليها وهي في محل قدرة العبد، فهذه لا يمكن تركها إلا بصبر عظيم، وكف لدواعي قلبه ونوازعها لله تعالى، واستعانة بالله على

---

[1] الزمر (١٠)

[2] آل عمران (١٤٦)

[3] البقرة (١٥٣)

العصمة منها، فإنها من الفتن الكبار. وكذلك البلاء الشاق، خصوصا إن استمر، فهذا تضعف معه القوى النفسانية والجسدية، ويوجد مقتضاها، وهو التسخط، إن لم يقاومها صاحبها بالصبر لله، والتوكل عليه، واللجأ إليه، والافتقار على الدوام.

فعلمت أن الصبر محتاج إليه العبد، بل مضطر إليه في كل حالة من أحواله، فلهذا أمر الله تعالى به، وأخبر أنه ((مَعَ الصَّابِرِينَ)) أي: مع من كان الصبر لهم خلقا، وصفة، وملكة بمعونته وتوفيقه، وتسديده، فهانت عليهم بذلك، المشاق والمكاره، وسهل عليهم كل عظيم، وزالت عنهم كل صعوبة، وهذه معية خاصة، تقتضي محبته ومعونته، ونصره وقربه، وهذه منقبة عظيمة للصابرين، فلو لم يكن للصابرين فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله، لكفى بها فضلا وشرفا ا.هـ

وقال عز وجل ((وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ))[1]

قال السعدي : وأما من وفقه الله للصبر عند وجود هذه المصائب، فحبس نفسه عن التسخط، قولا وفعلا واحتسب أجرها عند الله، وعلم أن ما يدركه من الأجر بصبره أعظم من المصيبة التي حصلت له، بل المصيبة تكون نعمة في حقه، لأنها صارت طريقا لحصول ما هو خير له وأنفع منها، فقد امتثل أمر الله، وفاز بالثواب، فلهذا قال تعالى ((وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)) أي: بشرهم بأنهم يوفون أجرهم بغير حساب .فالصابرين، هم الذين فازوا بالبشارة العظيمة، والمنحة الجسيمة

وقال تعالى : ((الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ))[2]

فذكر سبحانه أوصاف المتقين وجعل أولها ((الصابرين)) ، فأهل الصبر هم أهل التقوى وأهل الإيمان ، الراضون بقضاء الله تعالى ، والصابرون في السراء والضراء .

الصبر ضياء :

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

---

[1] البقرة (١٥٥)

[2] عمران (١٦-١٧)

((الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا))[1]

قال النووي :

هَذَا حَدِيث عَظِيم أَصْل مِنْ أُصُول الْإِسْلَام ، قَدْ اِشْتَمَلَ عَلَى مُهِمَّات مِنْ قَوَاعِد الْإِسْلَام ، وَأَمَّا قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَالصَّبْر ضِيَاء) فَمَعْنَاهُ الصَّبْر الْمَحْبُوب فِي الشَّرْع ، وَهُوَ الصَّبْر عَلَى طَاعَة اللَّه تَعَالَى وَالصَّبْر عَنْ مَعْصِيَته ، وَالصَّبْر أَيْضًا عَلَى النَّائِبَات وَأَنْوَاع الْمَكَارِه فِي الدُّنْيَا ، وَالْمُرَاد أَنَّ الصَّبْر مَحْمُود ، وَلَا يَزَال صَاحِبه مُسْتَضِيئًا مُهْتَدِيًا مُسْتَمِرًّا عَلَى الصَّوَاب قَالَ إِبْرَاهِيم الْخَوَاصّ : الصَّبْر هُوَ الثَّبَات عَلَى الْكِتَاب وَالسُّنَّة . وَقَالَ اِبْن عَطَاء : الصَّبْر الْوُقُوف مَعَ الْبَلَاء بِحُسْنِ الْأَدَب . وَقَالَ الْأُسْتَاذ أَبُو عَلِيّ الدَّقَّاق رَحِمَهُ اللَّه تَعَالَى : حَقِيقَة الصَّبْر أَنْ لَا يَعْتَرِض عَلَى الْمَقْدُور ، فَأَمَّا إِظْهَار الْبَلَاء لَا عَلَى وَجْه الشَّكْوَى فَلَا يُنَافِي الصَّبْر ، قَالَ اللَّه تَعَالَى فِي أَيُّوب عَلَيْهِ السَّلَام : (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْد) مَعَ أَنَّهُ قَالَ : (إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرّ) وَاَللَّه أَعْلَم .

وَأَمَّا قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَالْقُرْآن حُجَّة لَك أَوْ عَلَيْك) ، فَمَعْنَاهُ ظَاهِر أَيْ تَنْتَفِع بِهِ إِنْ تَلَوْته وَعَمِلْت بِهِ ، وَإِلَّا فَهُوَ حُجَّة عَلَيْك .

وَأَمَّا قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كُلّ النَّاس يَغْدُو فَبَائِع نَفْسه فَمُعْتِقهَا أَوْ مُوبِقهَا) ، فَمَعْنَاهُ كُلّ إِنْسَان يَسْعَى بِنَفْسِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَبِيعهَا لِلَّهِ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ فَيُعْتِقهَا مِنْ الْعَذَاب ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبِيعهَا لِلشَّيْطَانِ وَالْهَوَى بِاتِّبَاعِهِمَا فَيُوبِقهَا أَيْ يُهْلِكهَا . وَاَللَّه أَعْلَم .[2]

الابتلاء منحة من الله لعباده الصالحين :

عن أَبِي هُرَيْرَةَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ))[3]

وذلك لأنه إما أن يكفر عنه نوبه بما يصيبه ، أو يرفع به منزلته ، وفي كلا الأمرين خيرًا له .

---

[1] رواه مسلم في الطهارة باب فضل الوضوء (٣٢٨) ، والترمذي في الدعوات (٣٤٣٩) ، وابن ماجه في الطهارة (٢٧٦) ، وأحمد (٢١٨٢٨) ، والدارمي في الطهارة (٦٥١) .

[2] شرح مسلم

[3] رواه البخاري في المرضى باب كفارة المرض (٥٢١٣) ، وأحمد (٦٩٣٧) ، ومالك (١٤٧٧)

عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ :

((قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً ؟ قَالَ : الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ ، يُبْتَلَى الْعَبْدُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ))[1]

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ :

((دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ فَوَجَدْتُ حَرَّهُ بَيْنَ يَدَيَّ فَوْقَ اللِّحَافِ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَشَدَّهَا عَلَيْكَ ، قَالَ : إِنَّا كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ وَيُضَعَّفُ لَنَا الْأَجْرُ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً ؟ قَالَ : الْأَنْبِيَاءُ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : ثُمَّ الصَّالِحُونَ ، إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيُبْتَلَى بِالْفَقْرِ حَتَّى مَا يَجِدُ أَحَدُهُمْ إِلَّا الْعَبَاءَةَ يُحَوِّيهَا ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ))[2]

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((إِذَا ابْتَلَى اللَّهُ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ بِبَلَاءٍ فِي جَسَدِهِ قَالَ لِلْمَلَكِ : اكْتُبْ لَهُ صَالِحَ عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ ، فَإِنْ شَفَاهُ غَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ ، وَإِنْ قَبَضَهُ غَفَرَ لَهُ وَرَحِمَهُ))[3]

عِظَمُ الأجر في الصبر :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :

((عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ))[4]

---

[1] رواه ابن ماجه في الفتن باب الصبر على البلاء (٤٠١٢) ، والترمذي في الزهد (٢٣٢٢) وصححه ، وأحمد (١٤٠٠) ، والدارمي في الرقاق (٢٦٦٤) وابن حبان (٦٢٢٨) ، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (١٠٥٤) ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه .وحسنه الوادعي في الصحيح المسند (٣٧٧)

[2] رواه ابن ماجه في الفتن باب الصبر على البلاء (٤٠١٤) وفي الزوائد إسناده صحيح رجاله ثقات ، وقال الألباني في الصحيحة (١٤٤) صحيح على شرط شرط مسلم ، وحسنه الوادعي في الصحيح المسند (٤١٤)

[3] رواه أحمد (١٣٢١٦) وفي الزوائد (٣٠٧/٢) رجاله ثقات ، وحسنه الحافظ في المشكاة (١٦٦/٢) ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٨) ، وصححه الوادعي في الصحيح المسند (٣٠)

[4] رواه ابن ماجه في الفتن باب الصبر على البلاء (٤٠٢١) ، وقال المنذري في الترغيب (٢٢٣/٤) إسناده حسن أو صحيح ، وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية (١٨١/٢) إسناده جيد ، وحسنه الحافظ في المشكاة (٢٢/٢) ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢١١٠)

البلايا تمحو الخطايا :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((لا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْمُؤْمِنِ أَوْ الْمُؤْمِنَةِ فِي جَسَدِهِ وَفِي مَالِهِ وَفِي وَلَدِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ))[1]

سبحان مـــن يـــبـــتلي أناسًا أحبهم والبلاءُ عطاء

فاصبر لبلواه وكن راضيًا فإن هذا هـــو الـــدواء

سلم إلى الله ما قـــضـــــــاهُ ويفعل الله ما يشـــــــــــاء

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

((أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا وَقُلْتُ إِنَّـــكَ لَتُوعَـــكُ وَعْكًا شَدِيدًا قُلْتُ إِنَّ ذَاكَ بِأَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ ، قَالَ : أَجَلْ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى إِلَّا حَاتَّ اللَّـــهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا تَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ))[2]

وفي رواية : ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَـــيِّئَاتِهِ كَمَـــا تَحُـــطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا))[3]

وتكفر الذنوب :

عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا))[4]

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

---

[1] رواه أحمد (٧٥٢١) ، والترمذي في الزهد (٢٢٢٣) ، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (١٥٦٧)

[2] رواه البخاري في المرضى باب كفارة المرض (٥٢١٥) ، ومسلم في البر والصلة (٤٦٦٣) ، وأحمد (٣٤٣٦) والدارمي في الرقاق (٢٦٥٢)

[3] رواه البخاري في المرضى باب كفارة المرض (٥٢١٦)

[4] رواه البخاري في المرضى باب كفارة المرض (٥٢٠٩) ، ومسلم في البر والصلة (٤٦٦٧) ، وأحمـــد (٢٣٤٢٤) .ومالـــك في الموطأ (١٤٧٦)

((مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ ، وَلَا وَصَبٍ ، وَلَا هَمٍّ ، وَلَا حُزْنٍ ، وَلَا أَذًى ، وَلَا غَمٍّ ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا ، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ))[1]

(مِنْ نَصَب) هُوَ التَّعَب

(وَلَا وَصَب) أَيْ مَرَض ، وَقِيلَ هُوَ الْمَرَض اللَّازِم .

(وَلَا هَمّ وَلَا حُزْن) هُمَا مِنْ أَمْرَاض الْبَاطِن

(وَلَا أَذًى) هُوَ أَعَمّ مِمَّا تَقَدَّمَ . وَقِيلَ : هُوَ خَاصّ بِمَا يَلْحَق الشَّخْص مِنْ تَعَدِّي غَيْره عَلَيْهِ .

(وَلَا غَمّ) هُوَ أَيْضًا مِنْ أَمْرَاض الْبَاطِن وَهُوَ مَا يُضَيِّق عَلَى الْقَلْب .

وَقِيلَ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاء الثَّلَاثَة وَهِيَ الْهَمّ وَالْغَمّ وَالْحُزْن أَنَّ الْهَمّ يَنْشَأ عَنْ الْفِكْر فِيمَا يُتَوَقَّع حُصُوله مِمَّا يُتَأَذَّى بِهِ ، وَالْغَمّ كَرْب يَحْدُث لِلْقَلْبِ بِسَبَبِ مَا حَصَلَ ، وَالْحُزْن يَحْدُث لِفَقْدِ مَا يَشُقّ عَلَى الْمَرْء فَقْده . وَقِيلَ : الْهَمّ وَالْغَمّ بِمَعْنًى وَاحِد .

وَقَالَ الْكَرْمَانِيُّ : الْغَمّ يَشْمَل جَمِيع أَنْوَاع الْمَكْرُوهَات لِأَنَّهُ إِمَّا بِسَبَبِ مَا يَعْرِض لِلْبَدَنِ أَوْ النَّفْس ، وَالْأَوَّل : إِمَّا بِحَيْثُ يَخْرُج عَنْ الْمَجْرَى الطَّبِيعِيّ أَوْ لَا ، وَالثَّانِي : إِمَّا أَنْ يُلَاحِظ فِيهِ الْغَيْر أَوْ لَا ، وَإِمَّا أَنْ يَظْهَر فِيهِ الِانْقِبَاض أَوْ لَا ، وَإِمَّا بِالنَّظَرِ إِلَى الْمَاضِي أَوْ لَا .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ :

((قَالَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَرَأَيْتَ هَذِهِ الْأَمْرَاضَ الَّتِي تُصِيبُنَا ، مَا لَنَا بِهَا ؟ قَالَ : كَفَّارَاتٌ ، قَالَ أُبَيٌّ : وَإِنْ قَلَّتْ ؟ قَالَ : وَإِنْ شَوْكَةً فَمَا فَوْقَهَا))

قَالَ : فَدَعَا أُبَيٌّ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يُفَارِقَهُ الْوَعْكُ حَتَّى يَمُوتَ فِي أَنْ لَا يَشْغَلَهُ عَنْ حَجٍّ وَلَا عُمْرَةٍ وَلَا جِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ فِي جَمَاعَةٍ فَمَا مَسَّهُ إِنْسَانٌ إِلَّا وَجَدَ حَرَّهُ حَتَّى مَاتَ))[2]

وترفع الدرجات :

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((لَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً))[3]

---

[1] رواه البخاري في المرضى باب كفارة المرض (٥٢١٠) ، وأحمد (٧٦٨٤)

[2] رواه أحمد (١٠٧٥٤) ، وفي المجمع (٣٠٤/٢) رجاله ثقات ، وقال ابن حجر في الإصابة (٢٠/١) ثابت ، وصححه أحمد شاكر في عمدة التفسير (٥٧٨/١) ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٤٣٣)

[3] رواه مسلم في البر والصلة (٥٢٠٩) ، والترمذي في الجنائز (٨٨٨) ، وأحمد (٢٣٠٢٧) ، ومالك في الموطأ (١٤٧٦)

قال الحافظ في الفتح : الْأَحَادِيث الصَّحِيحَة صَرِيحَة فِي ثُبُوت الْأَجْر ، بِمُجَرَّدِ حُصُول الْمُصِيبَة ، وَأَمَّا الصَّبْر وَالرِّضَا فَقَدْر زَائِد يُمْكِن أَنْ يُثَاب عَلَيْهِمَا زِيَادَة عَلَى ثَوَاب الْمُصِيبَة

قَالَ الْقَرَافِيّ : الْمَصَائِب كَفَّارَات جَزْمًا سَوَاء اِقْتَرَنَ بِهَا الرِّضَا أَمْ لَا ، لَكِنْ إِنْ اِقْتَرَنَ بِهَا الرِّضَا عَظُمَ التَّكْفِير وَإِلَّا قَلَّ ، كَذَا قَالَ .

وَالتَّحْقِيق أَنَّ الْمُصِيبَة كَفَّارَة لِذَنْبٍ يُوَازِيهَا ، وَبِالرِّضَا يُؤْجَر عَلَى ذَلِكَ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْمُصَاب ذَنْب عُوِّضَ عَنْ ذَلِكَ مِنْ الثَّوَاب بِمَا يُوَازِيه .

نعمة الصبر على المصيبة تتحق بأمور

أولاً : النظر إلى أن المصيبة في غير الدين أهون وأيس عند المؤمنين

ثانيًا : أن فوق كل مصيبة ما هو أشد منها ، فيتفكر المصاب في مصيبته وما فوقها فيسلو عنها ، قال رجل لرسهل التستري : دخل اللص بيتي وأخذ متاعي ، فقال اشكر الله تعالى ، لو دخل الشيطان قلبك فأفسد إيمانك ماذا كنت تصنع ؟ .

ثالثًا : العلم بأن المصائب كفارات مع أنها يسيرة فانية ، وهي تدفع عقوبات الآخرة ، مع أنها خطيرة باقية .

رابعًا : أن ما قُدَّر يكون لا محالة ، ومن ابتلي فقد حصل ما قدر عليه وناله ، وكفي شر ذلك ذلك ووباله .

وما أحسن ما روي في معناه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :

ما ابتليت ببلاء إلا وكان لله عز وجل عليَّ فيه أربع نعم : إذا لم يكن في ديني ، وإذ لم يكن أعظم ، وإذ لم يكن أعظم ، وإذ لم أحرم الرضاء به ، وإذ أرجو الثواب عليه .

قال سهل التستري :

وثقت نفسُ عارفٍ فاطمأنت رضيت بالذي قضي فتهنت
لاح مور الهدى لها مع يقين فاستضاءت بذاك ثم استكنت
فرمت باللذيذ من كل عيشٍ وإلى أقرب مالك الملك حنت

خامسًا : من أقوى الأدوية وأنفعها ، العلم بأن الدنيا فانية وزائلة ، ون سرورها وشرورها آفلة ، وهي مخلوفة للذهاب والأفول ، وكل ما فيها يتغير ويحول ، ويضمحل ويفنى ويزول ، لأنهـــا إلى الآخرة طريق ، وهي مزرعة للآخرة على التحقيق .

فَصْلٌ
فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عِلاجِ حَرّ الْمُصِيبَةِ وَحُزْنِهَا

تم نقل هذا الفصل من كتاب زاد المعاد لابن القيم وذلك لأهميته

قال ابن القيم :

قَالَ تَعَالَى : (وَبَشّرِ الصّابِرِينَ الّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنّا لِلّهِ وَإِنّا إِلَيْهِ رَاجِعُـــونَ أُولَئِـــكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)

وَفِي " الْمُسْنَدِ " عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ :

(مَا مِنْ أَحَدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ إنّا لِلّهِ وَإِنّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ اللّهُمّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِـــفْ لِـــي خَيْرًا مِنْهَا إلّا أَجَارَهُ اللّهُ فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا)

إذَا تَحَقّقَ الْعَبْدُ بِأَنّهُ لِلّهِ وَأَنّ مَصِيرَهُ إلَيْهِ تَسَلّى عَنْ مُصِيبَتِهِ

وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ أَبْلَغِ عِلَاجِ الْمُصَابِ وَأَنْفَعِهِ لَهُ فِي عَاجِلَتِهِ وَآجِلَتِهِ فَإِنّهَا تَتَضَمّنُ أَصْلَيْنِ عَظِيمَيْنِ إذَا تَحَقّقَ الْعَبْدُ بِمَعْرِفَتِهِمَا تَسَلّى عَنْ مُصِيبَتِهِ .

أَحَدُهُمَا : أَنّ الْعَبْدَ وَأَهْلَهُ وَمَالَهُ مِلْكٌ لِلّهِ عَزّ وَجَلّ حَقِيقَةً وَقَدْ جَعَلَهُ عِنْدَ الْعَبْدِ عَارِيَةً فَإِذَا أَخَـــذَهُ مِنْهُ فَهُوَ كَالْمُعِيرِ يَأْخُذُ مَتَاعَهُ مِنْ الْمُسْتَعِيرِ وَأَيْضًا فَإِنّهُ مَحْفُوفٌ بِعَدَمَيْنِ عَدَمٍ قَبْلَهُ وَعَـــدَمٍ بَعْـــدَهُ وَمِلْكُ الْعَبْدِ لَهُ مُتْعَةٌ مُعَارَةٌ فِي زَمَنٍ يَسِيرٍ وَأَيْضًا فَإِنّهُ لَيْسَ الّذِي أَوْجَدَهُ عَنْ عَدَمِهِ حَتّـــى يَكُـــونَ مِلْكُهُ حَقِيقَةً وَلَا هُوَ

وَالثّانِي : أَنّ مَصِيرَ الْعَبْدِ وَمَرْجِعَهُ إلَى اللّهِ مَوْلَاهُ الْحَقّ وَلَا بُدّ أَنْ يُخَلّفَ الدّنْيَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ وَيَجِيءَ رَبّهُ فَرْدًا كَمَا خَلَقَهُ أَوّلَ مَرّةٍ بِلَا أَهْلٍ وَلَا مَالٍ وَلَا عَشِيرَةٍ وَلَكِنْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسّيّئَاتِ فَإِذَا كَانَتْ

هَذِهِ بِدَايَةَ الْعَبْدِ وَمَا خُوّلَهُ وَنِهَايَتَهُ فَكَيْفَ يَفْرَحُ بِمَوْجُودٍ أَوْ يَأْسَى عَلَى مَفْقُودٍ فَفِكْرُهُ فِي مَبْدَئِهِ وَمَعَادِهِ مِنْ أَعْظَمِ عِلَاجِ هَذَا الدّاءِ وَمِنْ عِلَاجِهِ أَنْ يَعْلَمَ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ . قَالَ تَعَالَى ((مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنّ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللّهُ لَا يُحِبّ كُلّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ))

ذِكْرُ بَعْضِ الْعِلَاجَاتِ مِنْهَا النّظَرُ إلَى مَا أَبْقَى اللّهُ عَلَيْهِ مِنْ النّعَمِ

وَمِنْ عِلَاجِهِ أَنْ يَنْظُرَ إلَى مَا أُصِيبَ بِهِ فَيَجِدُ رَبّهُ قَدْ أَبْقَى عَلَيْهِ مِثْلَهُ أَوْ أَفْضَلَ مِنْهُ وَادّخَرَ لَهُ – إنْ صَبَرَ وَرَضِيَ – مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ فَوَاتِ تِلْكَ الْمُصِيبَةِ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ وَأَنّهُ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهَا أَعْظَمَ مِمّا هِيَ .

التّأَسّي بِأَهْلِ الْمَصَائِبِ وَذِكْرُ قِصَصٍ فِي ذَلِكَ

وَمِنْ عِلَاجِهِ أَنْ يُطْفِئَ نَارَ مُصِيبَتِهِ بِبَرْدِ التّأَسّي بِأَهْلِ الْمَصَائِبِ وَلْيَعْلَمْ أَنّهُ فِي كُلّ وَادٍ بَنُو سَعْدٍ وَلْيَنْظُرْ يَمْنَةً فَهَلْ يَرَى إلّا مِحْنَةً ؟

ثُمّ لِيَعْطِفْ يَسْرَةً فَهَلْ يَرَى إلّا حَسْرَةً ؟

وَأَنّهُ لَوْ فَتّشَ الْعَالَمَ لَمْ يَرَ فِيهِمْ إلّا مُبْتَلًى إمّا بِفَوَاتِ مَحْبُوبٍ ، أَوْ حُصُولِ مَكْرُوهٍ ، وَأَنّ شُرُورَ الدّنْيَا أَحْلَامُ نُوّمٍ ، أَوْ كَظِلّ زَائِلٍ ، إنْ أَضْحَكَتْ قَلِيلًا أَبْكَتْ كَثِيرًا ، وَإِنْ سَرّتْ يَوْمًا سَاءَتْ دَهْرًا وَإِنْ مَتّعَتْ قَلِيلًا منعت طويلاً ، وما ملأت دارًا خِيرَةً إلّا مَلَأَتْهَا عَبْرَةً ، وَلَا سَرّتْهُ بِيَوْمِ سُرُورٍ إلّا خَبّأَتْ لَهُ يَوْمَ شُرُورٍ

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ : لِكُلّ فَرْحَةٍ تِرْحَةٌ وَمَا مُلِئَ بَيْتٌ فَرَحًا إلّا مُلِئَ تَرَحًا .

وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ : مَا كَانَ ضَحِكٌ قَطّ إلّا كَانَ مِنْ بَعْدِهِ بُكَاءٌ .

وَقَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ النّعْمَانِ : لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَنَحْنُ مِنْ أَعَزّ النّاسِ وَأَشَدّهِمْ مُلْكًا ثُمّ لَمْ تَغِبِ الشّمْسُ حَتّى رَأَيْتُنَا وَنَحْنُ أَقَلّ النّاسِ وَأَنّهُ حَقّ عَلَى اللّهِ أَلّا يَمْلَأَ دَارًا خِيرَةً إلّا مَلَأَهَا عَبْرَةً .

وَسَأَلَهَا رَجُلٌ أَنْ تُحَدّثَهُ عَنْ أَمْرِهَا فَقَالَتْ أَصْبَحْنَا ذَا صَبَاحٍ وَمَا فِي الْعَرَبِ أَحَدٌ إلّا يَرْجُونَا ثُمّ أَمْسَيْنَا وَمَا فِي الْعَرَبِ أَحَدٌ إلّا يَرْحَمُنَا .

وَبَكَتْ أُخْتُهَا حُرْقَةُ بِنْتُ النّعْمَانِ يَوْمًا وَهِيَ فِي عِزّهَا فَقِيلَ لَهَا : مَا يُبْكِيك لَعَــلّ أَحَــدًا آذَاك ؟ قَالَتْ لَا وَلَكِنْ رَأَيْتُ غَضَارَةً فِي أَهْلِي وَقَلّمَا امْتَلَأَتْ دَارٌ سُرُورًا إلّا امْتَلَأَتْ حُزْنًا .

قَالَ إسْحَاقُ بْنُ طَلْحَةَ : دَخَلْتُ عَلَيْهَا يَوْمًا فَقُلْتُ لَهَا : كَيْفَ رَأَيْتِ عَبَرَاتِ الْمُلُوكِ ؟ فَقَالَتْ مَــا نَحْنُ فِيهِ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِمّا كُنّا فِيهِ الْأَمْسَ إنّا نَجِدُ فِي الْكُتُبِ أَنّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ يَعِيشُــونَ فِــي خِيرَةٍ إلّا سَيُعْقَبُونَ بَعْدَهَا عِبْرَةً وَأَنّ الدّهْرَ لَمْ يَظْهَرْ لِقَوْمٍ بِيَوْمٍ يُحِبّونَهُ إلّا بَطَنَ لَهُمْ بِيَوْمٍ يَكْرَهُونَهُ ثُمّ قَالَتْ فَبَيْنَا نَسُوسُ النّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوقَةٌ نَتَنَصّفُ

فَأُفّ لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا .... تَقَلّبُ تَارَاتٍ بِنَا وتَصَرّفُ

الْجَزَعُ يُضَاعِفُ الْمَرَضَ

وَمِنْ عِلَاجِهَا أَنْ يُعْلَمَ أَنّ الْجَزَعَ لَا يَرُدّهَا بَلْ يُضَاعِفُهَا وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ تَزَايُدِ الْمَرَضِ .

فَوْتُ ثَوَابِ الصّبْرِ أَعْظَمُ مِنْ الْمُصِيبَةِ

وَمِنْ عِلَاجِهَا أَنْ يُعْلَمَ أَنّ فَوْتَ ثَوَابِ الصّبْرِ وَالتّسْلِيمَ وَهُوَ الصّلَاةُ وَالرّحْمَةُ وَالْهِدَايَةُ الّتِي ضَمِنَهَا اللّهُ عَلَى الصّبْرِ وَالِاسْتِرْجَاعِ أَعْظَمُ مِنْ الْمُصِيبَةِ فِي الْحَقِيقَةِ .

الْجَزَعُ يُشْمِتُ الْأَعْدَاءَ

وَمِنْ عِلَاجِهَا أَنْ يُعْلَمَ أَنّ الْجَزَعَ يُشْمِتُ عَدُوّهُ وَيَسُوءُ صَدِيقَهُ وَيُغْضِبُ رَبّهُ وَيَسُرّ شَيْطَانَهُ وَيُحْبِطُ أَجْرَهُ وَيُضْعِفُ نَفْسَهُ .

وَإِذَا صَبَرَ وَاحْتَسَبَ أَنْضَى شَيْطَانَهُ وَرَدّهُ خَاسِئًا وَأَرْضَى رَبّهُ وَسَرّ صَدِيقَهُ وَسَاءَ عَدُوّهُ وَحَمَلَ عَنْ إخْوَانِهِ وَعَزّاهُمْ هُوَ قَبْلَ أَنْ يُعَزّوهُ

فَهَذَا هُوَ الثّبَاتُ وَالْكَمَالُ الْأَعْظَمُ لَا لَطْمُ الْخُدُودِ وَشَقّ الْجُيُوبِ وَالدّعَاءُ بِالْوَيْلِ وَالثّبُورِ وَالسّخْطُ عَلَى الْمَقْدُورِ .

لَذّةَ الصّبْرِ وَمِنْهَا بَيْتُ الْحَمْدِ

وَمِنْ عِلَاجِهَا : أَنْ يَعْلَمَ أَنّ مَا يُعْقِبُهُ الصّبْرُ وَالِاحْتِسَابُ مِنْ اللّذّةِ وَالْمَسَرّةِ أَضْعَافُ مَا كَانَ يَحْصُلُ لَهُ بِبَقَاءِ مَا أُصِيبَ بِهِ لَوْ بَقِيَ عَلَيْهِ وَيَكْفِيهِ مِنْ ذَلِكَ بَيْتُ الْحَمْدِ الّذِي يُبْنَى لَهُ فِي الْجَنّةِ عَلَى حَمْدِهِ لِرَبّهِ وَاسْتِرْجَاعِهِ فَلْيَنْظُرْ أَيّ الْمُصِيبَتَيْنِ أَعْظَمُ ؟

مُصِيبَةُ الْعَاجِلَةِ أَوْ مُصِيبَةُ فَوَاتِ بَيْتِ الْحَمْدِ فِي جَنّةِ الْخُلْدِ . وَفِي التّرْمِذِيّ مَرْفُوعًا : يَوَدّ نَاسٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ تُقْرَضُ بِالْمَقَارِيضِ فِي الدّنْيَا لِمَا يَرَوْنَ مِنْ ثَوَابِ أَهْلِ الْبَلَاءِ

وَقَالَ بَعْضُ السّلَفِ : لَوْلَا مَصَائِبُ الدّنْيَا لَوَرَدْنَا الْقِيَامَ مَفَالِيسَ .

تَرْوِيحُ الْقَلْبِ بِرَجَاءِ الْخَلَفِ مِنْ اللّهِ

وَمِنْ عِلَاجِهَا : أَنْ يُرَوّحَ قَلْبَهُ بِرُوحِ رَجَاءِ الْخَلَفِ مِنْ اللّهِ فَإِنّهُ مِنْ كُلّ شَيْءٍ عِوَضٌ إلّا اللّهُ فَمَا مِنْهُ عِوَضٌ كَمَا قِيلَ

مِنْ كُلّ شَيْءٍ إذَا ضَيّعْتَهُ عِوَضٌ .... وَمَا مِنْ اللّهِ إنْ ضَيّعْتَهُ عِوَضُ

الْحَظّ مِنْ الْمُصِيبَةِ مَا تُحْدِثُهُ لَهُ

وَمِنْ عِلَاجِهَا : أَنْ يَعْلَمَ أَنّ حَظّهُ مِنْ الْمُصِيبَةِ مَا تُحْدِثُهُ لَهُ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرّضَى وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السّخْطُ .

فَحَظّك مِنْهَا مَا أَحْدَثَتْهُ لَك فَاخْتَرْ خَيْرَ الْحُظُوظِ أَوْ شَرّهَا :

_____ فَإِنْ أَحْدَثَتْ لَهُ سُخْطًا وَكُفْرًا كُتِبَ فِي دِيوَانِ الْهَالِكِينَ

_____ وَإِنْ أَحْدَثَتْ لَهُ جَزَعًا وَتَفْرِيطًا فِي تَرْكِ وَاجِبٍ أَوْ فِعْلِ مُحَرّمٍ كُتِبَ فِي دِيوَانِ الْمُفَرّطِينَ

_____ وَإِنْ أَحْدَثَتْ لَهُ شِكَايَةً وَعَدَمَ صَبْرٍ كُتِبَ فِي دِيوَانِ الْمَغْبُونِينَ

_____ وَإِنْ أَحْدَثَتْ لَهُ اعْتِرَاضًا عَلَى اللّهِ وَقَدْحًا فِي حِكْمَتِهِ فَقَدْ قَرَعَ بَابَ الزّنْدَقَةِ أَوْ وَلَجَهُ

_____ وَإِنْ أَحْدَثَتْ لَهُ صَبْرًا وَثَبَاتًا لِلّهِ كُتِبَ فِي دِيوَانِ الصّابِرِينَ

_____ وَإِنْ أَحْدَثَتْ لَهُ الرّضَى عَنْ اللّهِ كُتِبَ فِي دِيوَانِ الرّاضِينَ

ـــــــــــــ وَإِنْ أَحْدَثَتْ لَهُ الْحَمْدَ وَالشّكْرَ كُتِبَ فِي دِيوَانِ الشّاكِرِينَ وَكَانَ تَحْتَ لِوَاءِ الْحَمْدِ مَعَ الْحَمّادِينَ ـــــــــــــ وَإِنْ أَحْدَثَتْ لَهُ مَحَبّةً وَاشْتِيَاقًا إلَى لِقَاءِ رَبّهِ كُتِبَ فِي دِيوَانِ الْمُحِبّينَ الْمُخْلِصِينَ .

وَفِي مُسْنَدِ " الْإِمَامِ أَحْمَدَ " وَالتّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيثِ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ يَرْفَعُهُ :
((إنّ اللّهَ إذَا أَحَبّ قَوْمًا ا بْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرّضَى وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السّخْط))
زَادَ أَحْمَدُ : وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ الْجَزَع

وَمِنْ عِلَاجِهَا : أَنْ يَعْلَمَ أَنّهُ وَإِنْ بَلَغَ فِي الْجَزَعِ غَايَتَهُ فَآخِرُ أَمْرِهِ إلَى صَبْرِ الِاضْطِرَارِ وَهُوَ غَيْرُ مَحْمُودٍ وَلَا مُثَاب .
قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْعَاقِلُ يَفْعَلُ فِي أَوّلِ يَوْمٍ مِنْ الْمُصِيبَةِ مَا يَفْعَلُهُ الْجَاهِلُ بَعْدَ أَيّامٍ وَمَنْ لَمْ يَصْبِرْ صَبْرَ الْكِرَامِ سَلَا سَلْوَ الْبَهَائِمِ .
وَفِي " الصّحِيحِ " مَرْفُوعًا : الصّبْرُ عِنْدَ الصّدْمَةِ الْأُولَى
وَقَالَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ : إنّك إنْ صَبَرْت إيمَانًا وَاحْتِسَابًا وَإِلّا سَلَوْت سُلُوّ الْبَهَائِمِ

أَنْفَعُ الْأَدْوِيَةِ مُوَافَقَةُ اللّهِ فِيمَا أَحَبّهُ

وَمِنْ عِلَاجِهَا : أَنْ يَعْلَمَ أَنّ أَنْفَعَ الْأَدْوِيَةِ لَهُ مُوَافَقَةُ رَبّهِ وَإِلَهِهِ فِيمَا أَحَبّهُ وَرَضِيَهُ لَهُ وَأَنّ خَاصّيّةَ الْمَحَبّةِ وَسِرّهَا مُوَافَقَةُ الْمَحْبُوب فَمَنْ ادّعَى مَحَبّةَ مَحْبُوبٍ ثُمّ سَخِطَ مَا يُحِبّهُ وَأَحَبّ مَا يَسْخَطُهُ فَقَدْ شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ بِكَذِبِهِ وَتَمَقّتَ إلَى مَحْبُوبِهِ .
وَقَالَ أَبُو الدّرْدَاءِ : إنّ اللّهَ إذَا قَضَى قَضَاءً أَحَبّ أَنْ يُرْضَى بِهِ .
وَكَانَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ يَقُولُ فِي عِلّتِهِ : أَحَبّهُ إلَيّ أَحَبّهُ إلَيْهِ ، وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ .
وَهَذَا دَوَاءٌ وَعِلَاجٌ لَا يَعْمَلُ إلّا مَعَ الْمُحِبّينَ وَلَا يُمْكِنُ كُلّ أَحَدٍ أَنْ يَتَعَالَجَ بِهِ .

لَذّةُ التّمَتّعِ بِثَوَابِ اللّهِ أَعْظَمُ مِنْ لَذّةِ التّمَتّعِ بِمَا أُصِيبَ بِهِ

وَمِنْ عِلَاجِهَا : أَنْ يُوَازِنَ بَيْنَ أَعْظَمِ اللّذّتَيْنِ وَالْمُتْعَتَيْنِ وَأَدْوَمِهِمَا :
لَذّةِ تَمَتّعِهِ بِمَا أُصِيبَ بِهِ

وَلَذّةِ تَمَتّعِهِ بِثَوَابِ اللّهِ لَهُ

فَإِنْ ظَهَرَ لَهُ الرّجْحَانُ فَآثَرَ الرّاجِحَ فَلْيَحْمَدْ اللّهَ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَإِنْ آثَرَ الْمَرْجُوحَ مِنْ كُلّ وَجْهٍ فَلْيَعْلَمْ أَنّ مُصِيبَتَهُ فِي عَقْلِهِ وَقَلْبِهِ وَدِينِهِ أَعْظَمُ مِنْ مُصِيبَتِهِ الّتِي أُصِيبَ بِهَا فِي دُنْيَاهُ .

ابْتِلَاءُ اللّهِ الْعَبْدَ لِامْتِحَانِ صَبْرِهِ

وَمِنْ عِلَاجِهَا أَنْ يَعْلَمَ أَنّ الّذِي ابْتَلَاهُ بِهَا أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ وَأَرْحَمُ الرّاحِمِينَ وَأَنّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يُرْسِلْ إلَيْهِ الْبَلَاءَ لِيُهْلِكَهُ بِهِ وَلَا لِيُعَذّبَهُ بِهِ وَلَا لِيَجْتَاحَهُ وَإِنّمَا افْتَقَدَهُ بِهِ لِيَمْتَحِنَ صَبْرَهُ وَرِضَاهُ عَنْهُ وَإِيمَانَهُ وَلِيَسْمَعَ تَضَرّعَهُ وَابْتِهَالَهُ وَلِيَرَاهُ طَرِيحًا بِبَابِهِ لَائِذًا بِجَنَابِهِ مَكْسُورَ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيْهِ رَافِعًا قِصَصَ الشّكْوَى إلَيْهِ .

قَالَ الشّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ : يَا بُنَيّ إنّ الْمُصِيبَةَ مَا جَاءَتْ لِتُهْلِكَك وَإِنّمَا جَاءَتْ لِتَمْتَحِنَ صَبْرَك وَإِيمَانَك ، يَا بُنَيّ الْقَدَرُ سَبُعٌ وَالسّبُعُ لَا يَأْكُلُ الْمَيْتَةَ .

وَالْمَقْصُودُ أَنّ الْمُصِيبَةَ كِيرُ الْعَبْدِ الّذِي يُسْبَكُ بِهِ حَاصِلُهُ فَإِمّا أَنْ يَخْرُجَ أَحْمَرَ وَإِمّا أَنْ يَخْرُجَ خَبَثًا كُلّهُ كَمَا قِيلَ :

سَبَكْنَاهُ وَنَحْسِبُهُ لُجَيْنًا فَأَبْدَى ... الْكِيرُ عَنْ خَبَثِ الْحَدِيدِ

فَإِنْ لَمْ يَنْفَعْهُ هَذَا الْكِيرُ فِي الدّنْيَا فَبَيْنَ يَدَيْهِ الْكِيرُ الْأَعْظَمُ فَإِذَا عَلِمَ الْعَبْدُ أَنّ إدْخَالَهُ كِيرَ الدّنْيَا وَمَسْبَكَهَا خَيْرٌ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْكِيرِ وَالْمَسْبَكِ وَأَنّهُ لَا بُدّ مِنْ أَحَدِ الْكِيرَيْنِ فَلْيَعْلَمْ قَدْرَ نِعْمَةِ اللّهِ عَلَيْهِ فِي الْكِيرِ الْعَاجِلِ .

الْمُصِيبَةُ كَاسِرَةٌ لِدَاءِ الْكِبْرِ وَقَسْوَةِ الْقَلْبِ

وَمِنْ عِلَاجِهَا : أَنْ يَعْلَمَ أَنّهُ لَوْلَا مِحَنُ الدّنْيَا وَمَصَائِبُهَا لَأَصَابَ الْعَبْدَ – مِنْ أَدْوَاءِ الْكِبْرِ وَالْعُجْبِ وَالْفَرْعَنَةِ وَقَسْوَةِ الْقَلْبِ – مَا هُوَ سَبَبُ هَلَاكِهِ عَاجِلًا وَآجِلًا .

فَمِنْ رَحْمَةِ أَرْحَمِ الرّاحِمِينَ أَنْ يَتَفَقّدَهُ فِي الْأَحْيَانِ بِأَنْوَاعٍ مِنْ أَدْوِيَةِ الْمَصَائِبِ تَكُونُ حَمِيّةً لَهُ مِنْ هَذِهِ الْأَدْوَاءِ وَحِفْظًا لِصِحّةِ عُبُودِيّتِهِ وَاسْتِفْرَاغًا لِلْمَوَادّ الْفَاسِدَةِ الرّدِيئَةِ الْمُهْلِكَةِ مِنْهُ فَسُبْحَانَ مَنْ يَرْحَمُ بِبَلَائِهِ وَيَبْتَلِي بِنَعْمَائِهِ كَمَا قِيلَ قَدْ يُنْعِمُ بِالْبَلْوَى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَبْتَلِي اللّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنّعَمِ فَلَوْلَا أَنّهُ سُبْحَانَهُ يُدَاوِي عِبَادَهُ بِأَدْوِيَةِ الْمِحَنِ وَالِابْتِلَاءِ لَطَغَوْا وَبَغَوْا وَعَتَوْا

وَاللّهُ سُبْحَانَهُ إذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا سَقَاهُ دَوَاءً مِنْ الِابْتِلَاءِ وَالِامْتِحَانِ عَلَى قَدْرِ حَالِهِ يَسْتَفْرِغُ بِهِ مِنْ الْأَدْوَاءِ الْمُهْلِكَةِ حَتّى إذَا هَذّبَهُ وَنَقّاهُ وَصَفّاهُ أَهّلَهُ لِأَشْرَفِ مَرَاتِبِ الدّنْيَا وَهِيَ عُبُودِيّتُهُ وَأَرْفَعِ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَهُوَ رُؤْيَتُهُ وَقُرْبُهُ .

مَرَارَةُ الدّنْيَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ

وَمِنْ عِلَاجِهَا : أَنْ يَعْلَمَ أَنّ مَرَارَةَ الدّنْيَا هِيَ بِعَيْنِهَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ يَقْلِبُهَا اللّهُ سُبْحَانَهُ كَذَلِكَ وَحَلَاوَةَ الدّنْيَا بِعَيْنِهَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ

وَلَأَنْ يَنْتَقِلَ مِنْ مَرَارَةٍ مُنْقَطِعَةٍ إلَى حَلَاوَةٍ دَائِمَةٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ عَكْسِ ذَلِكَ فَإِنْ خَفِيَ عَلَيْك هَذَا فَانْظُرْ إلَى قَوْلِ الصّادِقِ الْمَصْدُوقِ : ((حُفّتْ الْجَنّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفّتْ النّارُ بِالشّهَوَاتِ))

وَفِي هَذَا الْمَقَامِ تَفَاوَتَتْ عُقُولُ الْخَلَائِقِ وَظَهَرَتْ حَقَائِقُ الرّجَالِ فَأَكْثَرُهُمْ آثَرَ الْحَلَاوَةَ الْمُنْقَطِعَةَ عَلَى الْحَلَاوَةِ الدّائِمَةِ الّتِي لَا تَزُولُ وَلَمْ يَحْتَمِلْ مَرَارَةَ سَاعَةٍ لِحَلَاوَةِ الْأَبَدِ وَلَا ذُلّ سَاعَةٍ لِعِزّ الْأَبَدِ وَلَا مِحْنَةَ سَاعَةٍ لِعَافِيَةِ الْأَبَدِ فَإِنّ الْحَاضِرَ عِنْدَهُ شَهَادَةٌ وَالْمُنْتَظَرَ غَيْبٌ وَالْإِيمَانُ ضَعِيفٌ وَسُلْطَانُ الشّهْوَةِ حَاكِمٌ فَتَوَلّدَ مِنْ ذَلِكَ إيثَارُ الْعَاجِلَةِ وَرَفْضُ الْآخِرَةِ وَهَذَا حَالُ النّظَرِ الْوَاقِعِ عَلَى ظَوَاهِرِ الْأُمُورِ وَأَوَائِلِهَا وَمَبَادِئِهَا .

وَأَمّا النّظَرُ الثّاقِبُ الّذِي يَخْرِقُ حُجُبَ الْعَاجِلَةِ وَيُجَاوِزُهُ إلَى الْعَوَاقِبِ وَالْغَايَاتِ فَلَهُ شَأْنٌ آخَرُ .

فَادْعُ نَفْسَك إلَى مَا أَعَدّ اللّهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ مِنْ النّعِيمِ الْمُقِيمِ وَالسّعَادَةِ الْأَبَدِيّةِ وَالْفَوْزِ الْأَكْبَرِ وَمَا أَعَدّ لِأَهْلِ الْبِطَالَةِ وَالْإِضَاعَةِ مِنْ الْخِزْيِ وَالْعِقَابِ وَالْحَسَرَاتِ الدّائِمَةِ ثُمّ اخْتَرْ أَيّ الْقِسْمَيْنِ أَلْيَقَ بِك وَكُلّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ وَكُلّ أَحَدٍ يَصْبُو إلَى مَا يُنَاسِبُهُ وَمَا هُوَ الْأَوْلَى بِهِ وَلَا تَسْتَطِلْ هَذَا الْعِلَاجَ فَشِدّةُ الْحَاجَةِ إلَيْهِ مِنْ الطّبِيبِ وَالْعَلِيلِ دَعَتْ إلَى بَسْطِهِ وَبِاَللّهِ التّوْفِيقُ .

انتهى من زاد المعاد ج٤ (١٨٨-١٩٦)

مسألة :

س : أسمع كثيرا عن أن هناك حِكَماً عظيمة لوقوع الابتلاء على الناس ، فما هي هذه الحكم ؟.

الحمد لله : نعم للابتلاء حكم عظيمة منها:

١ــ تحقيق العبودية لله رب العالمين

فإن كثيراً من الناس عبدٌ لهواه وليس عبداً لله ، يعلن أنه عبد لله ، ولكن إذا ابتلي نكص على عقبيه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ، قال تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى

حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)

٢ــ الابتلاء إعداد للمؤمنين للتمكين في الأرض

قيل للإمام الشافعي رحمه الله : أَيّهما أَفضل : الصَّبر أو المِحنة أو التَّمكين ؟ فقال : التَّمكين درجة الأنبياء ، ولا يكون التَّمكين إلا بعد المحنة ، فإذا امتحن صبر ، وإذا صبر مكن.

٣ــ كفارة للذنوب : روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه ، وولده ، وماله ، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة)

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

٤ــ حصول الأجر ورفعة الدرجات

روى مسلم عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً ، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً) .

٥ــ الابتلاء فرصة للتفكير في العيوب ، عيوب النفس وأخطاء المرحلة الماضية

لأنه إن كان عقوبة فأين الخطأ ؟

٦ــ البلاء درسٌ من دروس التوحيد والإيمان والتوكل

يطلعك عمليّاً على حقيقة نفسك لتعلم أنك عبد ضعيف ، لا حول لك ولا قوة إلا بربك ، فتتوكل عليه حق التوكل ، وتلجأ إليه حق اللجوء ، حينها يسقط الجاه والتيه والخيلاء ، والعجب والغرور والغفلة ، وتفهم أنك مسكين يلوذ بمولاه ، وضعيف يلجأ إلى القوي العزيز سبحانه.

قال ابن القيم:

"فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا وبغوا وعتوا ، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيراً سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله ، يستفرغ به من الأدواء المهلكة ، حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه : أهَّله لأشرف مراتب الدنيا ، وهي عبوديته ، وأرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه " انتهى.

٧ــ الابتلاء يخرج العجب من النفوس ويجعلها أقرب إلى الله.

قال ابن حجر : " قَوْله : (وَيَوْم حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتكُمْ) رَوَى يُونُس بْن بُكَيْر فِي " زِيَادَات الْمَغَازِي " عَنْ الرَّبِيع بْن أَنَس قَالَ : قَالَ رَجُل يَوْم حُنَيْنٍ : لَنْ نُغْلَب الْيَوْم مِنْ قِلَّة ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَتْ الْهَزِيمَة"..

قال ابن القيم زاد المعاد (٤٧٧/٣)

"واقتضت حكمته سبحانه أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عَدَدِهم وعُدَدِهم وقوة شوكتهم ليضع رؤوسا رفعت بالفتح ولم تدخل بلده وحرمه كما دخله رسول الله واضعا رأسه منحنيا على فرسه حتى إن ذقنه تكاد تمس سرجه تواضعا لربه وخضوعا لعظمته واستكانة لعزته " انتهى.

وقال الله تعالى : (وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ)

قال القاسمي (٢٣٩/٤) : "أي لينقّيهم ويخلّصهم من الذنوب ، ومن آفات النفوس . وأيضاً فإنه خلصهم ومحصهم من المنافقين ، فتميزوا منهم.

ثم ذكر حكمة أخرى وهي (ويمحق الكافرين) أي يهلكهم ، فإنهم إذا ظفروا بَغَوا وبطروا ، فيكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم ، إذ جرت سنّة الله تعالى إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم قيّض لهم الأسباب التي يستوجبون بها هلاكهم ومحقهم ، ومن أعظمها بعد كفرهم بغيهم وطغيانهم في أذى أوليائه ومحاربتهم وقتالهم والتسليط عليهم ... وقد محق الله الذي حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأصروا على الكفر جميعاً " انتهى.

٨ــ إظهار حقائق الناس ومعادنهم . فهناك ناس لا يعرف فضلهم إلا في المحن.

قال الفضيل بن عياض : " الناس ما داموا في عافية مستورون ، فإذا نزل بهم بلاء صاروا إلى حقائقهم ؛ فصار المؤمن إلى إيمانه ، وصار المنافق إلى نفاقه. "

ورَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي "الدَّلائِل" عَنْ أَبِي سَلَمَة قَالَ : اُفْتُتِنَ نَاس كَثِير – يَعْنِي عَقِب الإِسْرَاء – فَجَاءَ نَاس إِلَى أَبِي بَكْر فَذَكَرُوا لَهُ فَقَالَ : أَشْهَد أَنَّهُ صَادِق . فَقَالُوا : وَتُصَدِّقهُ بِأَنَّهُ أَتَى الشَّام فِي لَيْلَة وَاحِدَة ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَّة ؟ قَالَ نَعَمْ ، إِنِّي أُصَدِّقهُ بِأَبْعَد مِنْ ذَلِكَ ، أُصَدِّقهُ بِخَبَرِ السَّمَاء ، قَالَ : فَسُمِّيَ بِذَلِكَ الصِّدِّيق.

٩ــ الابتلاء يربي الرجال ويعدهم

لقد اختار الله لنبيه صلى الله عليه وسلم العيش الشديد الذي تتخلله الشدائد ، منذ صغره ليعده للمهمة العظمى التي تنتظره والتي لا يمكن أن يصبر عليها إلا أشداء الرجال ، الذين عركتهم الشدائد فصمدوا لها ، وابتلوا بالمصائب فصبروا عليها.

نشأ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتيماً ثم لم يلبث إلا يسيرا حتى ماتت أمه أيضاً.

والله سبحانه وتعالى يُذكّر النبي صلّى اللّه عليه وآله بهذا فيقول : (ألم يجدك يتيماً فآوى. (فكأن الله تعالى أرد إعداد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على تحمل المسئولية ومعاناة الشدائد من صغره.

١٠ــ ومن حكم هذه الابتلاءات والشدائد : أن الإنسان يميز بين الأصدقاء الحقيقيين وأصدقاء المصلحة

كما قال الشاعر:

جزى الله الشدائد كل خير وإن كانت تغصصني بريقي

وما شكري لها إلا لأني عرفت بها عدوي من صديقي

١١ــ الابتلاء يذكرك بذنوبك لتتوب منها

والله عز وجل يقول : (وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيئَةٍ فَمِن نفسكَ) ، ويقول سبحانه : (وَمَا أَصابَكُم من مصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَت أَيدِيكُم وَيَعفُوا عَن كَثِيرٍ)

فالبلاء فرصة للتوبة قبل أن يحل العذاب الأكبر يوم القيامة ؛ فإنَّ الله تعالى يقول : (وَلَنُذِيقَنهُم منَ العَذَابِ الأدنَى دُونَ العَذَابِ الأكبَرِ لَعَلهُم يَرجِعُونَ) والعذاب الأدنى هو نكد الدنيا ونغصها وما يصيب الإنسان من سوء وشر.

وإذا استمرت الحياة هانئة ، فسوف يصل الإنسان إلى مرحلة الغرور والكبر ويظن نفسه مستغنياً عن الله ، فمن رحمته سبحانه أن يبتلي الإنسان حتى يعود إليه.

١٢ــ الابتلاء يكشف لك حقيقة الدنيا وزيفها وأنها متاع الغرور

وأن الحياة الصحيحة الكاملة وراء هذه الدنيا ، في حياة لا مرض فيها ولا تعب (وَإِن الدارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ لَو كَانُوا يَعلَمُونَ) أما هذه الدنيا فنكد وتعب وهمٌّ : (لَقَد خَلَقنَا الإِنسانَ في كَبَدٍ)

١٣ــ الابتلاء يذكرك بفضل نعمة الله عليك بالصحة والعافية

فإنَّ هذه المصيبة تشرح لك بأبلغ بيان معنى الصحة والعافية التي كنت تمتعت بهما سنين طويلة ، ولم تتذوق حلاوتهما ، ولم تقدِّرهما حق قدرهما.

المصائب تذكرك بالمنعِم والنعم ، فتكون سبباً في شكر الله سبحانه على نعمته وحمده.

١٤. الشوق إلى الجنة

لن تشتاق إلى الجنة إلا إذا ذقت مرارة الدنيا ، فكيف تشتاق للجنة وأنت هانئ في الدنيا ؟

فهذه بعض الحكم والمصالح المترتبة على حصول الابتلاء وحكمة الله تعالى أعظم وأجل.

والله تعالى أعلم .[1]

تم بحمد الله تعالى

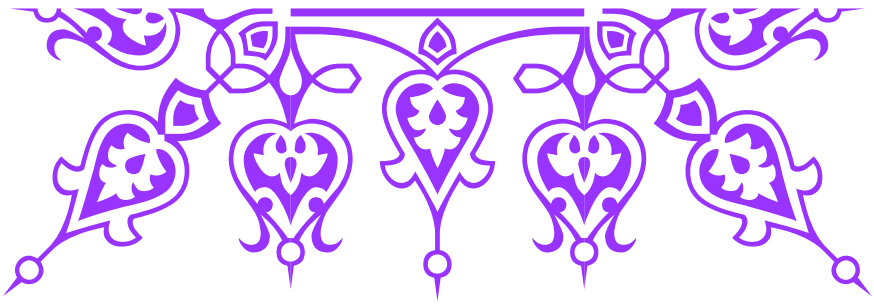

خاتمة

نسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى
أن يشملنا بعفوه ورحمته ، وأن يغفر لنا أجمعي
ن وأن يتجاوز عنا ، وأن يغفر لنا أجمعين

.

رب اغفر لي ولوالدي والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات

[1] الإسلام سؤال وجواب (٣٥٩١٤) .

ورد المسلمين إلى الإسلام ردًا جميلاً
واختم لنا برضاك يا أرحم الراحمين

وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا
محمد
وعلى آله وصحبه
والحمد لله رب العالمين

الفهرس

المقدمة	١
بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بأن أولاد المسلمين في الجنة	٥
فضائل من مات له ولد	١٠
فَضْل مَوْت الأَوْلاد	١٠
فقدان الأولاد مغفرة للذنوب	١١
من مات له ولد كان له حجابًا من النار	١٢
ومن مات له ولد لا يلج النار	١٤
ولا تمسه النار	١٥
من مات له ولد كان له سببًا في دخول الجنة	١٦
مسألة : هَلْ يَحْصُل ذَلِكَ الأجر لِمَنْ مَاتَ لَهُ أَوْلاد فِي الْكُفْر ثُمَّ أَسْلَمَ ؟	١٩
مسألة : هَلْ يَدْخُل فِي الأَوْلاد ، أَوْلاد الأَوْلاد ؟	١٩
معنى ثوله صلى الله عليه وسلم : (لم يبلغوا الحنث)	٢٠
تلقي الأولاد لآبائهم عند أبواب الجنة	٢١
انتظار الولد لأبويه عند أبواب الجنة	٢١

إدخال الولد لأبويه الجنة ٢٢
حصول الفضيلة لمن أصيب بسقط ٢٤
موت الولد الصالح أثقل شيء في ميزان العبد ٢٥
ثواب الصبر على موت الحبيب أيًّا كان ٢٧
بيت الحمد في الجنة لمن حمد واسترجع ٢٨
ماذا يقول من مات ولده ؟ ٢٨
ماذا يقول من مات ولده ؟
أدب نبوي : الدعاء عند الميت ٣١
من مات رضيعًا استكمل رضاعه في الجنة ٣٢
فضيلة الاسترجاع عند المصيبة ٣٣
ومما يسلي الإنسان ويعزيه في مصابه : ٣٧
تذكر مصيبة وفاة النبي صلى الله عليه وسلم
فضيلة من لم يظهر حزنه عند فقده لولده ٣٨
أمر أهل الميت بالصبر : ٤١
مسائل وفوائد هامة
وجوب الصلاة على الطفل ٤٢
السقط يصلى عليه ٤٥
مسألة : ضمة القبر .. والأولاد ٤٦
هل يُسأل الأطفال في قبورهم ؟ ٤٧
فائدة : ملخص أحوال الأطفال في الآخرة ٤٨
فائدة مهمة : الأحكام التي تترتب على إسقاط الجنين ٤٩
فصل في أجر الصبر ٥١
وجوب الإيمان بالقضاء والقدر ٥٤
فضيلة الصبر ٥٦
بعض الآيات الكريمة في فضيلة الصبر ٥٧
قوله صلى الله عليه وسلم "والصبر ضياء" ٥٨
الابتلاء منحة من الله لعباده الصالحين ٥٩
عِظَمُ الأجر في الصبر ٦٠

البلايا تمحو الخطايا ٦٠
وتكفر الذنوب ٦١
وترفع الدرجات ٦٢
نعمة الصبر على المصيبة تتحق بأمور ٦٣
فَصْلٌ هام :فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عِلاجِ حَرّ الْمُصِيبَةِ وَحُزْنِهَا ٦٤
خاتمة ٧٤
الفهرس ٧٥